الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مطبوعة محاضرات بيداغوجية في مقياس:

فلسفة اللغة

موجهة إلى طلبة السنة الثانية ليسانس، الشعبة اللغوية

لملف الترقية إلى رتبة أستاذ.

المترشح: هشام صويلح.

2023-2022

"**الخوف من الفلسفة هو بداية العلم**"

إيتيان جيلسون: اللسانيات والفلسفة (ص13).

- **مقـــدمة:**

اللغة ظاهرة بشرية عجيبة، وموضوع بحثي معقد، يدرسها علماء وباحثون ينتمون إلى مجالات معرفية مختلفة؛ علوم اللسان والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا...يدرسها كل منهم انطلاقا من مجال تخصصه، فاللسانيون يدرسونها لكشف نواميسها التي تنتظم وفقها، والفلاسفة يدرسونها قصد اكتساب معرفة حولها تساعدهم على معالجة المشكلات المحورية في الفلسفة. ويهتم بها النفسانيون لأنها تساعدهم على شرح تطور العمليات العقلية ووصفها، ويهتم بها كذلك علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا لأنها تزودهم بمعرفة عن بنية المجتمعات وتطورها[1].

وبما أن تاريخ الفلسفة ليس عرضا للأفكار والنظريات الفلسفية فحسب، ولا هو تاريخ مستقل عن العلوم الأخرى، فقد أُطلق اسم الفلسفة على فنون معرفية كثيرة: منها فلسفة العلم وفلسفة الدين وفلسفة الفن وفلسفة السياسة وفلسفة التاريخ وفلسفة اللغة...إلخ. وقد دلت هذه التسميات على صلة الفلسفة بهذه الظواهر والمجالات، وعلى عدم وجود حدود ثابتة تجعلها ذات تاريخ مستقل قائم بذاته بعيدا عن ملابسات العصر والظروف واهتمامات الفيلسوف[2].

وعليه، فإن اهتمام الفلاسفة باللغة ليس وليد عصرنا، وإنما هو قديم قدم الفلسفة ذاتها. ويظهر ذلك في اهتمامهم بعلوم اللغة والبلاغة والجدل عند السفسطائيين قبل أرسطو وأفلاطون (428–348 ق.م)، واهتمام أفلاطون بقضية أصل اللغة والأسماء في "محاورة كراتيلوس". أما في العصر الوسيط فقد كان للفلاسفة المسلمين العرب اهتماما بالغا باللغة، وبخاصة عند الفارابي (ت 339ه) في كتابه "الحروف" وكتاب "إحصاء العلوم". وأما في الفلسفة الحديثة فقد

[1]- انظر صلاح عبد الحق: فلسفة اللغة، (مصر، الدار المصرية اللبنانية، 2017)، ص 20.

[2]- بدوي عبد الرحمن: ربيع الفكر اليوناني، (القاهرة-مصر، مكتبة النهضة المصرية. (د ت))، ص12.

عُني فلاسفة أصحاب الاتجاه العقلي ومنهم ديكارت (1596-1650)، عناية كبيرة بدراسة اللغة، وكذلك فعل أصحاب الاتجاه التجريبي، ومنهم جون لوك (1632-1704)، وغيره[1].

وقد أصبح البحث في اللغة، في الفلسفة المعاصرة، يحتل الصدارة في كتابات أبرز فلاسفة هذا العصر، أمثال " فريجه" و"راسل" و"جورج مور" وفتجنشتاين وجون أوستين وجون سيرل، و"كواين"و"ستراوسن"و"تشومسكي"، وغيرهم.

فما المقصود بفلسفة اللغة؟ ومتى ظهر هذا المصطلح وكيف تطور؟ ومن هم أبرز فلاسفة اللغة قديما وحديثا؟ وما أهم المباحث التي تنتمي إلى فلسفة اللغة؟ وما هي نقاط التقاطع بين الفيلسوف واللغوي في دراسة هذه المباحث؟ وما أهم الحلول التي توصلت إليها فلسفة اللغة في معالجتها للإشكالات اللغوية ذات الصلة بالميدان الفلسفي؟ ...

تأتي هذه المطبوعة لتحاول الإجابة عن هذه الأسئلة، وتناقش قضايا ومباحث ذات صلة بموضوعات فلسفة اللغة، من خلال مجموعة محاضرات مطابقة لمفردات مقياس فلسفة اللغة، موجهة إلى طلبة السنة الثانية ليسانس الشعبة اللغوية يدرسونها في السداسي الرابع في حصة واحدة لمدة ساعة ونصف.

استهدفنا في محاضرات هذه المطبوعة تحقيق جملة من الأهداف:

- تعريف الطلبة بتخصص معرفي حديث يهتم بدراسة اللغة بطريقة مغايرة لطريقة اللسانيات.
- اكتشاف الطالب في هذا المقياس مفاهيم ونظريات جديدة عن اللغة.
- اكتساب الطالب معارف عن أعلام من الفلاسفة القدامى الغربيين والعرب، ومن الفلاسفة المحدثين والمعاصرين الذين لم يسبق له التعرف عليهم في مساره العلمي والتعلمي السابق.

- انظر صلاح عبد الحق: فلسفة اللغة...المرجع السابق ص 21 و22.

- شق سبل فكرية جديدة لدى الطالب تمكنه من بلورة تصورات جديدة لكيفية اشتغال اللغة في الذهن وكيفية تصويرها للواقع وللفكر...
- تعرف الطالب على مراجع علمية أصيلة ومتخصصة.
- إثراء معجم الطالب بمصطلحات علمية، لغوية وفلسفية.
- تهيئة الطالب للاكتشاف، والتعرف على تخصصات علمية حديثة (مثل التداولية ولسانيات الخطاب...) يدرسها في مراحل متقدمة من مساره التعليمي، (الماستر والدراسات العليا).

هذا، وقد حاولت المطبوعة مراعاة خصوصية الكتابة البيداغوجية، بانتهاجها لغة علمية واضحة الأسلوب سهلة العبارة دقيقة المفاهيم، متجنبة الحشو والغموض والتعقيد. كما ركزت من ناحية المحتوى على العناصر الأساسية في المحاضرة مستبعدة الحواشي والفروع إلا للضرورة.

وخُتمت المطبوعة بخلاصة علمية تمثل مجمل النتائج التي تفيد الطالب على تلخيص واستيعاب أبرز الأفكار التي تتضمنها محاضرات المقياس.

تمت كتابة المطبوعة، بحمد الله وفضله،

فجر يوم السبت 14 ذو القعدة 1444 الموافق لـ 3 جوان 2023.

- **مفردات المقياس:**

- **المحاضرة الأولى**: فلسفة اللغة، المفهوم والنشأة.
- **المحاضرة الثانية**: مباحث وقضايا فلسفة اللغة.
- **المحاضرة الثالثة**: اللغة عند الفلاسفة اليونان (أفلاطون).
- **المحاضرة الرابعة**: اللغة عند الفلاسفة اليونان (أرسطوطاليس).
- **المحاضرة الخامسة**: فلسفة اللغة عند العرب، الفارابي(01).
- **المحاضرة السادسة**: فلسفة اللغة عند العرب (02).
- **المحاضرة السابعة**: فلسفة اللغة عند علماء الغرب.
- **المحاضرة الثامنة**: فلسفة اللغة عند المعاصرين(01)، الفلسفة التحليلية.
- **المحاضرة التاسعة**: فلسفة اللغة عند المعاصرين (02): اتجاهات الفلسفة التحليلية.
- **المحاضرة العاشرة**: فلاسفة كمبردج في التحليل اللغوي (فريجه، راسل).
- **المحاضرة الحادية عشرة**: فلاسفة أكسفورد في التحليل اللغوي (جون أوستين).
- **المحاضرة الثانية عشرة**: فلاسفة أكسفورد في التحليل اللغوي (جون سيرل).
- **المحاضرة الثالثة عشرة**: القصدية (جون سيرل نموذجا).
- **المحاضرة الرابعة عشرة**: اللغة والتأويل.

المحاضرة الأولى:

فلسفة اللغة، المفهوم والنشأة:

1- مصطلح فلسفة اللغة، السياقات التاريخية والمعرفية:

1-1- ظهور مصطلح "فلسفة اللغة" في مطلع القرن التاسع عشر بين 1803 و1806:

إن أول من استعمل مصطلح فلسفة اللغة –على حد علمنا، ولم نجد من يذكر من الباحثين فيلسوفا أقدم منه–هو الفيلسوف البولندي، هوين فرونسكي-1778 HÖENÉ Wronski) (1853، حيث جعله عنوانا لمقاله الثاني[1] «PHILOSOPHIE DU LANGAGE» ضمن كتابه «SEPT MANUSCRITS INÉDITS» أو (سبعة مخطوطات غير مطبوعة "مرقونة") الذي كتبه في فرنسا ما بين 1803 و1806.

1-2- مصطلح "فلسفة اللغة" في مطلع القرن العشرين، سنة 1902:

يطالعنا في مطلع القرن العشرين الفيلسوف الإيطالي بندتو كروتشي «BENEDETTO CROCE 1866-1952» بكتابه الموسوم بـ " ESTITICA COME SCIENZA DELL ESPRESSIONE E LINGUISTICA GENERALE. TEORIA E STORIA" أي "الجماليات كعلم للتعبير واللسانيات العامة، نظرية وتاريخ"(*) الصادر في إيطاليا سنة 1902. ونشر في طبعة أخرى سنة 1908. وقسم كتابه هذا إلى شقين، شق نظري خصصه للحديث عن نظريته الجديدة في اللغة وعلاقتها بالتعبير الفني أو الجمالي. والشق الثاني خصصه لتاريخ هذه النظرية[2].

---

[1]-HÖENÉ Wronski ; SEPT MANUSCRITS INÉDITS. Paris. 1879. P13.

[*]- يعتقد الدكتور الزواوي بغورة في كتابه "الفلسفة واللغة" أن بندتو كروتشي هو أول من ذكر مصطلح فلسفة اللغة في مطلع القرن العشرين، ويرجع عدم دقة هذه المعلومة، ربما، لعدم اطلاع الدكتور بغورة على كتاب هوين فرونسكي.

[2] -BENEDETTO CROCE : ESTITICA COME SCIENZA DELL ESPRESSIONE E LINGUISTICA GENERALE. TEORIA E STORIA. GIUS. LATERZA & FIGLI. 1908, p XX

وقد وسم الفصل الثاني عشر من كتابه بعنوان « LA FILOSOFIA DEL LINGUAGGIO » أي "فلسفة اللغة"، ولعلها تكون المرة الثانية التي يوظَّف فيها مصطلح "فلسفة اللغة" في تاريخ التأليف الفلسفي الحديث عموما. والمرة الأولى في التأليف الفلسفي باللغة الإيطالية.

1-3- مصطلح فلسفة اللغة: عنوان كتاب.

أول من ألف كتابا قائما بذاته بعنوان « LA PHILOSOPHIE DU LANGAGE » هو اللساني الفرنسي ألبرت دوزا « ALBERT DAUZAT 1877-1955 »، الصادر في طبعته الأولى سنة 1912. وقد"حلل فيه المميزات العامة للغة وقوانين تطورها ومناهجها المختلفة"[1].

2- مفهوم فلسفة اللغة وإشكالية نشأتها كمبحث فلسفي:

من أهم التعريفات التي أوردها فلاسفة اللغة لمصطلح المبحث الذي يشتغلون عليه، نذكر ما يلي:

2-1- **تعريف الفيلسوف اللغوي الأمريكي جون سيرل (John R. Searle 1932-)**: "فلسفة اللغة هي محاولة تهدف إلى وصف واضح ودقيق ومن زاوية نظر فلسفية، لبعض الخاصيات العامة المتعلقة باللغة مثل الإحالة والمعنى والصدق. كما أنها لا تهتم بعناصر مخصوصة في لغة مخصوصة إلا بصورة عرضية. وهي بذلك اسم لمبحث من مباحث الفلسفة، يركز جل اهتمامه على مشكلات تثيرها اللغة ذاتها، وبالتالي لا تعد فلسفة اللغة دراسة للغة من حيث هي كذلك، بل من حيث هي حديث فلسفي حول اللغة".[2]

2-2- **تعريف الفيلسوف اللغوي الفرنسي سيلفان أورو (Sylvain Auroux)**: "المقصود بفلسفة اللغة مجموعة من التأملات والأفكار المتنوعة المصادر: تعليقات بعض الفلاسفة حول اللغة

[1]- المرجع نفسه ص 196.

[2]- جون سيرل: الأعمال اللغوية، بحث في فلسفة اللغة، ترجمة أميرة غنيم. تونس. دار سيانترا.2015، ص 18و19.

وملاحظاتهم...ورغم عدم تجانس كل هذا، والغياب الجلي للتماسك النظري فيه، وهو ما ينبغي الاعتراف به، فإن الأمر يتعلق بدون شك بالمجال الأهم والأصعب في الفلسفة"[1].

2-3-تعريف الفيلسوف المصري محمود فهمي زيدان (1927-1995): فلسفة اللغة "...أصبح اليوم مبحثا مستقلا عما سواه، وأخذ يزدهر منذ أوائل هذا القرن [القرن العشرين] وازداد إقبال الباحثين على الكتابة فيه...ويمكن القول إن فلسفة اللغة مجموعة مترابطة من الدراسات، يعكف عليها المناطقة والفلاسفة، تنشأ عما يقلقهم من أسئلة ومشكلات تتعلق باللغة...وإن لفلسفة اللغة تاريخ طويل"[2].

2-4-تعريف الباحث المصري عزمي طه: "...هي بحث فيما قبل اللغة، أو هي بحث عن أولها ونشأتها وعلاقتها الصحيحة بالإنسان والوجود بجميع ما فيه من موجودات ودورها الاجتماعي، والعلمي والحضاري، ومحاولة توضيح كل ذلك وتفسيره"[3].

إن أهم رابط يجمع بين هذه التعريفات هو النظر إلى اللغة بوصفها مشكلة فلسفية تستدعي الدراسة من أجل الوقوف على حقيقتها. وقد اهتم بها الفلاسفة إلى درجة أصبحت لدى البعض هي الموضوع الوحيد الذي يشتغلون عليه، وأصبح موضوع الفلسفة بالنسبة إليهم يقتصر على البحث في اللغة وحدها.

وهذا ما يثبته الفيلسوف النمساوي لودفيغ فيتجنشتاين في عبارته المشهورة رقم (4,0031) من كتابه (رسالة منطقية فلسفية)"إن الفلسفة كلها عبارة عن "نقد للغة""[4]، كما وصف بعضهم القرن العشرين بقرن فلسفة اللغة.

[1]- سيلفان أورو: فلسفة اللغة، ترجمة عبد المحيد جحفة، (بيروت-لبنان. دار الكتاب الجديد المتحدة. 2010). ص 7.

[2]- محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة. بيروت-لبنان. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. 1985. ص 5.

[3]- عزمي طه: فلسفة اللغة عند أفلاطون، (الأردن. عالم الكتب الحديث. 2015)، ص 19.

[4]- لودفيغ فيتجنشتاين: رسالة منطقية فلسفية، ترجمة عزمي إسلام. (مصر. مكتبة الأنجلو المصرية. 1968). ص 83.

3- نزعتان تتجاذبان مفهوم فلسفة اللغة ونشأتها:

إن النظرة الإبستيمولوجية لمفهوم فلسفة اللغة تضع حدا بين نزعتين مختلفتين، الأولى تأصيلية والثانية حداثية. وقد انبثق عن كل نزعة مفهوم خاص بها لفلسفة اللغة، ومن ثمة لنشأتها.

3-1-المفهوم الخاص بالنزعة التأصيلية: يعتقد أصحاب هذه النزعة أن فلسفة اللغة قديمة قدم الفلسفة التي يربو عمرها عن خمسة وعشرين قرنا من الزمان. وترجع مضامينها إلى مختلف الآراء الفلسفية التي قيلت حول طبيعة الظاهرة اللغوية من حيث نشأتها وعلاقتها بالفكر والواقع، والتي نجدها في نصوص الفلاسفة اليونانيين القدامى كأفلاطون وأرسطو، أو في نصوص الفلاسفة العرب كالفارابي وابن رشد والرازي وغيرهم، مرورا بفلاسفة القرون التالية وانتهاء بالفلاسفة المحدثين والمعاصرين.

ويُدخل أصحاب هذه النزعة، دراسة اللغة ضمن الاهتمامات العامة للفيلسوف. إذ ليس شرطا أن تحتل اللغة المكانة المركزية في البحث الفلسفي، بل يكفي حضورها ضمن السياق العام لأسئلة الفيلسوف.

وعليه، يرى أصحاب هذه النزعة أن فلسفة اللغة، كمفهوم وإجراء، موجودة في كل فلسفة اهتمت في تطورها بمسألة اللغة، سواء أكان هذا الاهتمام قديما أم حديثا، جوهريا أم عرضيا[1].

3-2-المفهوم الخاص بالنزعة الحداثية: ينظر أصحاب هذه النزعة (على خلاف النزعة الأولى) إلى فلسفة اللغة على أنها مبحث فلسفي حديث ظهر في بداية القرن العشرين، يدرس اللغة من وجهة نظر فلسفية، ويتكون من مختلف التطورات التي عرفها -حصرا-الفكر الفلسفي المعاصر، المتمثل أساسا في مجمل التطورات الحاصلة في مجال المنطق وفلسفة التأويل وفلسفة العقل وعلم الاستدلال واللسانيات وغيرها من العلوم الحديثة[2].

---

[1]- للتوسع انظر الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة...ص 197 وما بعدها.

[2]- انظر المرجع نفسه ص 200.

وقد ظهرت البوادر الأولى لهذه الفلسفة في أعمال مجموعة من الفلاسفة المعاصرين، أشهرهم؛ فريجه وراسل ومور وفتجنشتاين وأوستين وسيرلوتشومسكي وغيرهم.

وتجمع بين هؤلاء الفلاسفة مسلمة عامة مشتركة، مفادها أن فهم الإنسان لذاته ولعالَمه يرتكز في المقام الأول على فهم اللغة[1].

ولتأكيد هذه المسلمة، وضعت فلسفة اللغة لنفسها غاية محددة، تتمثل في تحقيق جملة من الأهداف، نذكر منها:

- إعادة صياغة الإشكالات والموضوعات الفلسفية على أساس علمي منطقي.
- التأكيد على أن أولوية البحث الفلسفي المعاصر هي البحث في اللغة وتوضيحها.
- تفسير علاقة اللغة بالإنسان والوجود، وتوضيح دورها الاجتماعي والعلمي والحضاري.
- الوصف الواضح والدقيق لبعض الخاصيات العامة للغة؛ كالمعنى والإحالة والصدق...
- "التوصل إلى فهم أفضل لكيفية عمل الذهن في تصوره للعالم"[2].

[1]- انظر مسعود صحراوي: التداولية عند العرب، (الجزائر، دار التنوير للنشر والتوزيع. 2008). ص31.

[2]- طالب الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، (الكويت، مطبوعات جامعة الكويت. 1994)، ص أ.

المحاضرة الثانية:

قضايا ومباحث فلسفة اللغة:

اهتمامات الفيلسوف كثيرة ومتنوعة وهو محب للمعرفة كما كان منذ القديم محبا للحكمة. ومن المجالات الأساسية التي يبرز فيها اهتمام الفيلسوف اللغوي: المنطق وفلسفة اللغة الرمزية وفلسفة اللغة العادية ونظرية المعرفة واللسانيات...إلخ. أما أهم الموضوعات التي يشتغل عليها، فيمكن تلخيصها في القضايا التالية:

1. قضية أصل اللغة:

تعد مسألة أصل اللغة من المسائل الفلسفية التي راودت -ولاتزال تراود-تأملات الفلاسفة والعلماء منذ القديم؛ حيث تساءلوا: متى اكتسب الإنسان اللغة وكيف اكتسبها؟

لا شك أن الأبحاث المرتبطة بأصل اللغة وأطوار نشأتها واكتمالها، لم تصل إلى إجابة شافية أو نتيجة علمية مقنعة، وذلك لأن اللغة تضرب بجذورها في عمق التاريخ الإنساني ما يجعلها سرا من أسرار الماضي البعيد. وقد شغلت هذه القضية اهتمام الفلاسفة والمفكرين وعلماء النفس وعلماء الاجتماع، فاختلفت حولها آراؤهم وتباينت حججهم وتنوعت فرضياتهم[1]. ومن بين الفرضيات التي وضعت في سبيل التعرف على أصل اللغة، يمكن التعرض إلى الطروحات التالية:

- **الطرح الأسطوري**: يزعم ممن يتمسك بالنص التوراتي أن الله أتى بآدم كي يسمي كائنات العالم، ومع حلقة بابل مزج الله اللغات؛ وبعد الطوفان أعطى تشتت أبناء نوح تشكل جديد للشعوب وللغات في الآن ذاته. وهذا يفترض أن تكون هناك لغة بدائية (لغة أم). وأن تنوع اللغات يرجع إلى التشكل الجديد الموازي لتشكل الشعوب التي تتكلمها[2].

---

[1]- انظر زينب عفيفي: فلسفة اللغة عند الفارابي، (مصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع. 1997)، ص 139و 140.

[2]- سيلفان أورو: فلسفة اللغة...مرجع سابق. ص 27. وانظر الاعتبارات اللغوية لهذه القصة التوراتية عن برج بابل عند طه عبد الرحمن: فقه الفلسفة-الفلسفة والترجمة. (المغرب، المركز الثقافي العربي. 1995). ص 61.

- **الطرح الفلسفي**: افترق الفلاسفة إزاء هذا الطرح إلى فريقين:

أ- فريق تزعمه أفلاطون: مقررا أن اللغة توقيف وإلهام إلهي، وأنها ظاهرة إنسانية لا تحكمها القوانين التي تحكم الظواهر والأشياء. وهناك قلة من الفلاسفة واللغويين من يتبعون هذا الرأي.

ب- وفريق تزعمه أرسطو: يرى أن اللغة تواضع واصطلاح؛ أي إنه نتيجة للاتفاق الذي ينبع من احتياج الجماعة الكلامية[1]. وأغلبية الفلاسفة مع هذا الرأي، وكذلك اللسانيون المحدثون والمعاصرون.

- **الطرح اللساني**: حاول علماء اللغة إضفاء الطابع العلمي على تخريج مسألة أصل اللغة، من خلال اصطناع مناهج علمية لغوية غاية في الدقة تمثلت فيما عرف باللسانيات التاريخية والمقارنة، حيث حاولت من خلال أبحاثها الحثيثة التوصل إلى علاقات القرابة بين اللغات ومن ثمة تصنيف اللغات في أسر، من أجل تحديد اللغة الأم التي تنحدر منها هذه الأسر.

والسؤال المطروح، هل استطاعت إحدى هذه الطروحات أن تؤكد فرضيتها، أم أن القضية مازالت قائمة في نقطة البداية؟

بسبب عدم نجاعة النتائج التي توصلت إليها اللسانيات التاريخية والمقارنة، بصفتها المؤهلة بدرجة أولى للدراسة العلمية لهذه القضية، والتي استمرت إلى غاية القرن التاسع عشر. وبسبب ظهور مناهج علمية لسانية تبحث في اللغة كنظام وليس كتاريخ، استعاض اللسانيون عن البحث في قضية أصل اللغة، بالبحث في اللغة ذاتها؛ من حيث هي نظام من العلامات اللغوية المترابطة فيما بينها وفق علاقات تخضع لقانون داخلي خاص، من دون الاهتمام بالعوامل الخارجية المتسببة في حدوث الظاهرة اللغوية ونشأتها.

[1]- انظر زينب عفيفي: فلسفة اللغة عند الفارابي...ص 144.

كما نصت جمعية اللسانيات بباريس في البند الثاني من قوانينها الأولى (سنة 1866) على رفض أي بحث حول أصل اللغات. لكونها لم تعد قضية من صميم البحث اللساني الحديث، بعدما توصلت اللسانيات إلى أن تحليل اللغات ليس السبيل الجيد لتناول مسألة أصل اللغة، وهو ما يعني أن فكرة إعادة بناء اللغة البدائية، أو الوصول إلى أصل نشأة اللغة، لا تعدو أن تكون وهما فلسفيا[1]، لا مطمحا علميا.

2. العلامة اللغوية:

يرتبط البحث في العلامة اللغوية بمشكلة أساسية، تسعى إلى الإجابة عن سؤال يمس جوهر اللغة الطبيعية وهو: كيف تستطيع اللغة عن طريق المادة الصوتية أن تنقل معنى محددا؟ يعيد هذا السؤال إلى الواجهة ما عرفه الفكر الفلسفي منذ أفلاطون وأرسطو والرواقيين إلى اليوم، من محاولات تسعى إلى إلقاء الضوء على صيرورة عمليات تمثيل الأشياء وإدراكها واقعيا وتصوريا والإحالة عليها لغويا. وينبثق عن هذا السؤال سؤالان لا يقلان أهمية، كانا دوما في صلب التفكير الفلسفي والفكري عموما: ما هي طبيعة العلاقة بين الصوت والمعنى؟ وما هي العلاقة بين اللغة والواقع؟ وتختصر الفلسفة الغربية منذ الرواقيين وفلاسفة القرون الوسطى ونحاة "بور روايال" في القرن السابع عشر إشكالية العلامة في ثلاث مكونات أساسية:

- الشيء la chose.
- الكلمة le mot.
- التصور idée/concept.

ولم تكن التصورات الفلسفية عن مكونات العلامة اللغوية عند أفلاطون وأرسطو غريبة عن محيط اللغويين والنحاة في دراسة طبيعة الكلمات أو العلامات اللغوية. حيث ساد الدراسات اللغوية المتعلقة بالعلامة حتى العصر الحديث تصور منطقي فلسفي ترجع أصوله الأولى إلى

[1]- سيلفان أورو: فلسفة اللغة...32 وما بعدها.

أرسطو، وتبناه كثير من فلاسفة ولغويي القرون الوسطى وما بعدها[1]. ومؤدى هذا التصور، أن اللسان إذا ما تم رده إلى سماته الجوهرية لا يعدو أن يكون قائمة من الأسماء التي تقابل أشياء في العالم الخارجي، أو تصورات عن الأشياء المادية أو المجردة؛ أي إن اللسان في جوهره سلسلة من الأسماء التي تقابلها سلسلة من الأشياء المادية أو الذهنية. وقد انتقد سوسير في محاضراته هذا التصور للعلامة اللغوية. وفي مقابل ذلك، بين طبيعتها انطلاقا من تقابلها وعلاقتها بغيرها من العلامات الأخرى في النسق اللغوي في حد ذاته[2].

وقد تطورت فكرة العلامة لدى الفلاسفة، لتشمل زيادة على العلامات اللغوية العلامات غير اللغوية. واصطنعوا لدراسة العلامة بنوعيها، تخصصا معرفيا أشمل من اللسانيات التي تقتصر على العلامات اللغوية، وهو الـ «Sémiotique»: علم العلامات العام، الذي يكون الفيلسوف الإنجليزي جون لوك «John Locke 1632-1704»هو أول من تنبأ به وسماه ورسم خطوطه الكبرى في مقالته "مبدأ العلامات". ثم تبنى الفيلسوف الأمريكي تشارلز سندرس بيرس (1839–1914) مصطلح جون لوك وفكرته عن السيمياء، واستهل أولى محاولاته للتعريف بهذا الفرع المعرفي الجديد والكشف عنه ومحاولة تصنيف العلامات في العام (1867). وقدم بيرس مخططاته التمهيدية التي عرّف فيها لأول مرة السيمياء كفرع معرفي جديد خلال السبعينيات من القرن التاسع عشر[3].

ولسوء حظ دوسوسير –حسب جاكبسون–فإنه لم يطلع على أفكار بيرس لأنها نشرت في طبعة تراثه الفكري بعد وفاته (وسوسير توفي بعد بيرس بسنة)، فكان من العسير والحالة هذه، أن يتعرف عليها سوسير، غير أن هذا اللساني السويسري تحسس مثل سلفه الأمريكي سندرس بيرس، الحاجة الماسة إلى علم عام للعلامات؛ علم اقترح تسميته"Sémiologie "، وعدّه علما لا غنى عنه لتأويل اللغة وأنظمة العلامات الأخرى كلها في علاقتها المتبادلة مع اللغة[4].

---

[1]- مصطفى غلفان: اللغة واللسان والعلامة عند سوسير، (بيروت-لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة. 2017). ص 269 و270.

[2]- دو سوسير: علم اللغة العام. ترجمة يوئيل عزيز، (العراق، دار آفاق عربية. 1985)، ص 84 وما بعدها.

[3]- رومان جاكوبسون: الاتجاهات الأساسية في علم اللغة...ص 47.

[4]- نفسه ص 48.

3.قضية اللغة بين الإنسان والحيوان:

تبحث هذه المسألة في طبيعة اللغة والإنسان. هل اللغة خاصية الإنسان وحده؟ وما هي خصائص اللغة مقارنة بغيرها من أنواع التواصل الإنساني؟ وما الذي يميز لغة الإنسان عن لغة الحيوان؟

لقد عُرِّف الإنسان في الفلسفة اليونانية القديمة بأنه "حيوان ناطق" أو الحيوان المالك للغوس"(logos)؛ أي اللغة والعقل. ومفهوم اللغة، باعتبارها نسقا للتعبير والتبادل، يتجاوز إلى كونها واقعا ينفرد به الإنسان، ويتمثل في مجموعة من العلامات المتفق عليها للتفكير والتواصل. واعتبار اللغة وسيلة تعبير وتفاعل، تكمن وظيفتها الأساسية في التواصل، يجعل منها أعظم الابتكارات الإنسانية. أو بالأحرى –كما يرى بعض الفلاسفة–هي ذات الإنسان نفسه وشهادة على وضعه كإنسان.

هذا، وتتمتع اللغة الإنسانية بخاصيات لا وجود لها في أنماط التواصل الحيواني التي لا تعدو أن تكون إشارات مشتركة –بغض النظر عن نوعها وعددها–بين أفراد مجموعة حيوانية معينة[1]. وقد نفى تشومسكي أن يكون للغة الإنسانية شبيها ذا أهمية في أي مكان؛ حيث يقول: "إذ تبدو ملكة اللغة البشرية 'خاصية نوعية' تختلف قليلا فيما بين البشر وليس لها شبيه ذو أهمية في أمكنة أخرى"[2]ولا عند أي نوع من الكائنات، مهما بلغت من التطور البيولوجي والذكاء الغريزي.

وإذا كان الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يمتلك اللوغوس (اللغة والعقل)، فإن هذا التمييز يفترض أن الحيوانات الأخرى لا تمتلكه لأنها خرساء. غير أن بعض الحيوانات وبخاصة بعض الطيور (الببغاء) لها القدرة على تقليد جمل تتلقاها تلقينا من البشر، (مع عدم قدرتها على إنتاج جمل من غير تلقين). كما توصل بعض الباحثين إلى أن للنحل نسقا تواصليا يتمثل في

[1]- نبيهة قارة: مدخل إلى فلسفة اللغة. (تونس، الوسيطي للنشر. 2009) ص 8 وما بعدها.

[2]- نعوم تشومسكي: أفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل. (سوريا، دار الحوار، 2008)، ص 33.

رقصات في شكل دائرة تكرر عددا من المرات وفقا لانحرافات متنوعة، يمكن بفضلها، باعتبارها نسقا تواصليا، أن تخبر النحلةُ أخواتها بالمكان الدقيق الذي يوجد فيه اللقاح[1].

كما أظهرت بعض الدراسات أن بعض الحيوانات تصدر مثلها مثل الإنسان أصواتا وحركات قصدية، كما أنها تُنوع وتُميّز بين أصواتها الإنذارية، ومن ثم تُحمّلها دلالات مختلفة، وليست هذه الأصوات والحركات مغلقة أو فقيرة أو محدودة العدد؛ حيث يصل عدد صيحات القردة –مثلا–إلى السبعين صيحة[2]. لكن يبقى الأمر المؤكد، أنه مهما بلغت الأنساق التواصلية لدى الحيوانات من تعقيد وتنوع وثراء في أصواتها وحركاتها وصيحاتها، ومهما أدت من وظائف تواصلية (قصدية) وغير قصدية، فإنها لا يمكن أن تنتمي إلى الفئة التي تنتمي إليها اللغة البشرية؛ لأن امتلاك الإنسان للغة مشروط بامتلاكه للعقل. وعليه فاللغة الإنسانية أعقد بكثير مما توصف به–مجازا–أنظمة التواصل عند الحيوانات، بأنها لغة.

ويعد مفهوم التمفصل المزدوج في اللغة؛ أي الانقسام الثنائي بين الوحدات التمييزية (الفونيمات) والوحدات الدالة (المونيمات) من بين أهم الخصائص التي تميز لغة الإنسان عن باقي أنظمة التواصل عند الكائنات الأخرى[3]. بالإضافة إلى اشتمال اللغة البشرية على خاصية "الاستعمال اللامحدود لوسائل محدودة" على حد تعبير فون هومبولت[4]؛ أي استغلال عدد محدود من الحروف لإنتاج عدد لا متناهي من الجمل. ويؤكد تشومسكي هذه الخاصية في قوله: "تقوم اللغة البشرية على خاصية أولية تبدو أيضا معزولة بيولوجيا؛ إنها خاصية اللامحدودية [اللانهائية] infinity المتفردة"[5].

وإن النظام التواصلي بالنسبة للبشر ملازم للغة، واللغة هي التي تشغل المكانة الرئيسية داخل شبكة التواصل الإنساني الكلية. وهذا يدل على أن اللغة ليست هي التي تختلف جوهريا عن

---

[1]- سيلفان أورو: فلسفة اللغة...ص 18 وما بعدها.

[2]- عمر أوكان: اللغة والخطاب. (مصر. دار رؤية للنشر والتوزيع، 2011)، ص 13.

[3]- رومان جاكوبسون: الاتجاهات الأساسية في علم اللغة...ص 84.

[4]- نعوم تشومسكي: آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل...ص38.

[5]- نفسه ص 34.

كل نظام تواصلي تستخدمه الكائنات غير الناطقة، بل إن جميع أنظمة التواصل عند مستخدمي اللغة هي كذلك[1]، وليست اللغة فحسب.

وقد كان هناك اتفاق بين الفلاسفة واللسانيين على أهمية اللغة، بوصفها نظاما سيميائيا تواصليا، لدى الإنسان. يقول رومان جاكوبسون: "كان لوك [جون لوك فيلسوف] وسوسير [لساني] محقين في تأكيدهما على أن اللغة هي الشيء الأساسي والأهم من بين الأنظمة السيميائية الإنسانية كلها"[2]. والحقيقة الثابتة عند الفلاسفة والعلماء هي أن اللغة خاصية إنسانية، حصرا وبامتياز. وهي أهم شيء-على الإطلاق-اخترعه الإنسان قديما. وهي ظاهرة معقدة جدا ترتبط ارتباطا شديدا بالفطرة الإنسانية. وهي خاصية النوع التي تميز الإنسان عن باقي الكائنات. ومن أجل كشف أسرارها ونواميسها، مازال الفلاسفة والعلماء في الكثير من التخصصات (اللسانيات، علم النفس، تشريح الأعصاب، علم الجينات، الأنثروبولوجيا ...) يجندون لها إمكانيات ضخمة لدراستها.

4.العلاقة بين اللغة والفكر:

إن مسألة خصوصية اللغة الإنسانية تدعم فكرة انفراد الإنسان باللغة وتحيلنا إلى علاقتها بالفكر. وقد احتلت هذه المسألة موقعا تقليديا في مجال الفلسفة، ومن ثم أثارت اهتمام اللسانيين وعلماء النفس (نبيهة قارة: ص10). والحقيقة أن اللغة الطبيعية هي وسيلة للإبداع والتعبير والتواصل والتفكير. ولا يوجد فكر خارج اللغة، كما لا توجد لغة خارج الفكر. ولا أحد يجادل في هذه القضية، لكن الإشكالية مثار النقاش هي عن الأسبقية واللاحقية فيما بينهما؛ وذلك ما أنتج ثلاثة اتجاهات[3]:

أ- **أسبقية اللغة على الفكر**:يرى هذا التوجه، وهو توجه قديم في الفكر الفلسفي والبشري عموما، وقد اشتهر هذا التوجه مع العالمين "سابير وورف" وعُرف بـ"فرضية النسبية

[1]- جاكبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة... ص 83.

[2]- نفسه ص 50.

[3]- عمر أوكان: اللغة والخطاب...ص 12 وما بعدها.

اللغوية"، التي تفترض أن تأثير اللغة على الفكر هو تأثير كامل، وحدود عالمنا هي حدود لغتنا، ولا يستطيع الإنسان أن يدرك الأشياء من حوله ومعانيها إلا باللغة، وبها يشكل أفكاره وتمثلاته، وليس هناك فكر من دون لغة. والإنسان لا يعيش عالما ماديا أو فكريا، بل يعيش عالما لغويا محضا.

وأصل هذه الفكرة أو الفرضية قديم في الفلسفة، حيث يرى هيجل أننا لا نفكر إلا داخل الكلمات، وأن الكلمة هي التي تصوغ الفكر وتشكله. وذهب فتجنشتاين، في فلسفته الأولى، إلى أبعد من ذلك حينما جعل موضوع الفلسفة هو تحديد الأفكار وتوضيحها، وإلا بقيت هذه الأفكار مبهمة. وإن أفضل طريقة لفهم الأفكار وتوضيحها هو التحليل المنطقي السليم للغة[1].

ب- **أسبقية الفكر على اللغة**: يرى أنصار هذا التوجه وعلى رأسهم جون بياجي، أن اكتساب الأولوياتاللغوية يفترض أن الطفل قد حصل مسبقا على مستوى معرفي معين، يستطيع بفضله استعمال المفاهيم والعلاقات التي يعبر عنها، وكذلك فهمها. ومضمون هذا التوجه هو أنه من المستحيل على الطفل أن يفهم تعبيرا لغويا حتى يتمكن من الفكرة الكامنة فيه. وأن تدريس الأشكال اللغوية لا يؤدي إلا إلى فكر منطقي واضح، بل إنه على العكس، عندما يتأسس المنطق نعثر حينها على الكلمات التي يجب استعمالها من أجل التعبير الدقيق والواضح[2].

ويعد فردينان دو سوسير من أبرز اللسانيين الذين انتقدوا هذا التوجه، من خلال رده على من يعتقد أن اللغة في جوهرها هي مجرد قائمة من الألفاظ كل لفظة تدل على الشيء الذي تسميه، ومن ثم فإن الأفكار معدة مسبقا وموجودة قبل الكلمات، وتجعلنا نعتقد أن ربط التسمية بالشيء إنما هو عملية بسيطة، وهذا –في رأيه–الاعتقاد بعيد عن الصحة[3].

---

[1]- لودفيغفيتجنشتاين: رسالة منطقية فلسفية...مرجع سابق ص 91 و92.

[2]- عمر أوكان: اللغة والخطاب...ص 12 وما بعدها.

[3]- دوسوسير: علم اللغة العام...84.

ت- **اقتران اللغة بالفكر**: إن اقتران اللغة بالفكر يحدد منذ الطفولة خصوصية الفكر الإنساني من حيث كونه على الدوام لغويا؛ أي إنه يتميز بطابع مفهومي يتعذر فصله عن اللغة. فلا وجود لفكر باستطاعته الاستغناء عن اللغة. كما أن تطور الفكر المفهومي الخاص بالإنسان يتعلق منذ الطفولة بتطور وظيفة الكلام؛ كما أن اتحاد اللغة بالفكر يعني أن الكلام هو على الدوام فكري[1].

5.مشكلة العلاقة بين اللغة والواقع:

لقد شغلت مشكلة العلاقة بين اللغة والواقع تفكير الفلاسفة والمناطقة. أيوجد تشابه تام بينهما، أم أن التشابه جزئي فقط؟ ولعل الرأي التقليدي في وظائف اللغة أن لها وظيفة أساسية هي التعبير عن الواقع المشاهد والتعبير عن المشاعر وتوصيل المعلومات إلى الآخرين. غير أن اللغات الطبيعية التي نتواصل بها في حياتنا اليومية يشوبها الكثير من النقص والغموض والقصور، لأنها تتضمن كلمات وعبارات ليس لها معنى محدد، وأخرى تكون معانيها متداخلة[2]. لذلك لجأ بعض الفلاسفة إلى البحث عن لغة اصطناعية لها مصطلحات ومفاهيم خاصة بها، تتوخى الدقة والشفافية والوضوح. لكن التساؤل المطروح: هل يمكن وضع هذه اللغة بحيث تصبح بديلة عن اللغة العادية في البحث الفلسفي، ومن ثم حل الإشكال المتعلق بصدق تمثيل اللغة للعالَم؟، ويكون في مقدورها التعبير الصادق والدقيق عن الفكر الفلسفي؟ ويكون لكل كلمة معنى واحدا محددا، يستثني المعاني المتقاربة؟ ومن أبرز الفلاسفة الذين اشتغلوا على إيجاد مثل هذه اللغة المثالية: برتراند رسل، وجورج مور، ولودفيغ فتجنشتاين في فلسفته الأولى.

[1]- نبيهة قارة: مدخل إلى فلسفة اللغة...ص 13.

[2]- محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة...مرجع سابق ص6.

6.نظرية المعنى:

تعد مشكلة المعنى من أهم مباحث فلسفة اللغة، وتأتي بصفة عامة في موضع الصدارة من المشكلات التي واجهت العقل الإنساني، إذ السؤال (ما معنى كذا؟) مطروح على الإنسان منذ القديم، أي منذ بدأ يتواصل مع غيره من بني جنسه، وحاول إدراك العالم الخارجي من حوله[1]. وطالما أن المعنى هو ما يتم التعبير عنه وايصاله إلى الآخرين، وطالما أن التعبير والتبليغ هما الوظيفتان الأساسيتان للغة، فلا قيام للغة من غير معنى[2]. ومن أبرز الأسئلة التي تطرحها نظرية المعنى: هل للكلمة الواحدة معنى واحد محدد، أم أن لكل كلمة استخدامات مختلفة في سياقات مختلفة؟ وما الترادف وعلاقته بالمعنى؟ هل معنى الكلمة هو إشارة إلى معنى معين، أم أن المعنى وسط بين اللفظ والشيء؟ هذه الأسئلة في مجموعها تؤلف ما يسمى مشكلة المعنى. وهي موضوع يزداد الاهتمام به عند الفلاسفة المعاصرين، كما يهتم به علماء اللسانيات لأنه يدخل في صميم البحث الدلالي والتداولي[3]. ومن بين أهم الفلاسفة المهتمين بهذه القضية فريجه ومور وكواينوفتجنشتاين، ومن اللسانيين تلامذة تشومسكي أصحاب نظرية الدلالة التوليدية.

---

[1]- صلاح إسماعيل: فلسفة اللغة...مرجع سابق ص 105.

[2]- عزمي إسلام: مفهوم المعنى، دراسة تحليلية. (الكويت، حولية كلية الآداب تصدر عن جامعة الكويت، الحولية السادسة، الرسالة الحادية والثلاثون. 1985). ص 9.

[3]- محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة...ص7.

المحاضرة الثالثة:

اللغة عند الفلاسفة اليونان (أفلاطون):

مقدمة:

إذا كانت هناك علاقة قديمة في التاريخ، قائمة بين الفلسفة والدين والعلم، فهناك أيضا علاقة قديمة بين الفلسفة واللغة؛ حيث عُدّت اللغة بالنسبة للفلسفة موضوعا قديما قدم الفلسفة نفسها، إذ نجد أن أبرز فلاسفة اليونان: سقراط وأفلاطون وأرسطو في مقدمة الفلاسفة الذين أولوا اهتماما، سواء أكان عرضيا أم جوهريا، بدراسة اللغة بوصفها مشكلة فلسفية[1].

وإذا كان هدف الفلسفة هو العمل، قدر الإمكان، على تحقيق غاية: "البحث النظري الصرف الذي يتجه إلى الكشف عن الحقيقة وحدها، بصرف النظر عن الملابسات الخاصة المتوقفة على الزمان والمكان"[2]، فإن البحث عن حقيقة اللغة كظاهرة إنسانية، دفعت الفلاسفة منذ القديم إلى التساؤل عن أصل نشأتها، وعن كيفية تكونها وتعبيرها عن الفكر والواقع، وبما تتميز عن باقي أنظمة التواصل عند الكائنات الأخرى؟ وما خصائصها المنطقية والتبليغية والشعرية والخطابية؟ ...

ومن أجل الإجابة عن هذه التساؤلات، نحاول في هذه المحاضرة عرض أهم ما تناوله أفلاطون وتلميذه أرسطو في مصنفاتهم ذات الصلة بدراسة اللغة.

1- دراسة اللغة في اليونان قبل سقراط وأفلاطون:

يقر مؤرخو الدراسات اللغوية القديمة، أن معلوماتهم عن اهتمام فلاسفة اليونان باللغة، قبل سقراط والسفسطائيين وأفلاطون وأرسطو، قليلة جدا، ومتفرقة في مصادر غير ذات صلة باللغة. وأقصى ما يتوفر لديهم من معلومات، يعود إلى القرن الخامس ق.م. حينما أصبح أصحاب فن الخطابة (البلاغيون) معروفين في اليونان من خلال دراستهم الخطابة دراسة احترافية، وتعليمها

---

[1]- جاب الله السيد: فلسفة اللغة والمنطق، 2014، ط1. عمان-الأردن، الوراق للنشر والتوزيع، ص 10.

[2]- بدوي عبد الرحمن: ربيع الفكر اليوناني، (د ت)، ط3. القاهرة-مصر، مكتبة النهضة المصرية، ص12.

للناس بأجر، وكوّنوا فرقة عُرفت باسم السفسطائيين. أما معرفتهم بتراث سقراط وتركته في دراسة اللغة، فهي معرفة غير مباشرة؛ لأن سقراط لم يترك كتابات كتبها بنفسه. غير أن مناقشاته ووجهات نظره اللغوية، متوفرة في أشهر محاورات أفلاطون، وبخاصة محاورة كراتيليوس[1]. فما موضوع محاورة كراتيليوس؟ وما أهميتها في البحث الفلسفي اللغوي؟

2- قضايا اللغة عند أفلاطون من خلال محاورة كراتيليوس «Cratyle»:

يعد الفيلسوف اليوناني أفلاطون «Platon» الذي عاش ما بين (427ق.م-347ق.م) أقدم فيلسوف أخبرنا عن اهتمامات اليونانيين بمسائل اللغة وتطلعهم إلى أسرارها في كتابه "محاورة كراتيليوس"، ويظهر أن المسائل المطروحة فيه يرجع عهدها إلى القرن السادس قبل الميلاد[2]؛ لأن اللغة في ذلك العهد كانت تمثل "موضوع بحث رئيسي عند الفلاسفة السابقين لسقراط"[3].

وتعد محاورة كراتيليوس، التي كان فيها أفلاطون متأثرا بآراء أستاذه سقراط (حوالي 470-399ق.م) واحدة من كتاباته الأولى التي مثلت الاستثناء الوحيد، بين محاوراته الكثيرة، من حيث موضوعها الرئيس؛ وهو أصل اللغة والأسماء[4]. ولأنها من أقدم الأعمال المتخصصة في مجال فلسفة اللغة، فقد اكتسبت أفضلية السبق والريادة في هذا المجال. بالإضافة إلى إشاراته اللغوية في عدة محاورات أخرى؛ كـ "غورجياس Gorgias" و" السفسطائي Sophiste".

كما اكتست هذه المحاورة أهمية منهجية وفلسفية باعتبارها "مثالا جيدا للبحث عن الحقيقة القصوى، حقيقة الوجود التي هي غاية البحث الفلسفي عند أفلاطون"[5].

---

[1]- روبنز-ر.هـ: موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة أحمد عوض، 1997. الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ص 34.

[2]- حاج صالح عبد الرحمن: بحوث ودراسات في علوم اللسان، 2007، ط1.الجزائر، موفم للنشر، ص 71.

[3]- روبنز: موجز تاريخ علم اللغة...مرجع سابق ص 40.

[4]- أفلاطون: محاورة كراتيليوس، 1995، ط1. عمان-الأردن، وزارة الثقافة، ص15.

[5]- عزمي طه: فلسفة اللغة عند أفلاطون ومعه نص محاورة كراتيليوس (دراسة وترجمة)، 2015، إربد-الأردن. عالم الكتب الحديث، ص 15 وما بعدها.

3-1- موضوع المحاورة:

يتفق الباحثون على أن المسألة الرئيسية التي تدور حولها المحاورة هي أصل اللغة أو أصل الأسماء، وهو موضوع يدخل ضمن مباحث فلسفة اللغة، وقد بدأ أفلاطون محاورته بالسؤال عما إذا كانت الأسماء طبيعية النشأة أم هي صادرة عن تواطؤ الناس؟ أي هل يرجع أصل الأصوات الدالة على الأشخاص والمعاني إلى الطبيعة نفسها ولا دخل للمتكلمين في وضعها، أم يرجع إلى ما يتواضع عليه المتكلمون أنفسهم؟[1].

3-2- غرض المحاورة:

للمحاورة غرضان؛ أحدهما مباشر والآخر غير مباشر:

- أما المباشر فيتمثل في كيفية دراسة الأسماء والألفاظ وصواب إطلاقها على ما أُطلقت عليه من أشياء وأفعال وأشخاص بأسلوب علمي.
- وأما غير المباشر فيتمثل في عرضه لمسائل المحاورة من أجل الإشارة إلى نظريته في المعرفة، معرفة جوهر الأشياء وحقيقة الوجود، وذلك لارتباط مسألة أصل اللغة ونقدها بمسألة الماهية، التي تحتل موقعا مركزيا في فلسفته. فلكي تكون اللغة صائبة يجب أن تكون وسيلة تعبير عن الواقع الحقيقي؛ وسيلة لنقل الماهية[2].

3-3- مناقشة موضوع المحاورة بين أهم شخصياتها:

قدم أفلاطون مسألة أصل نشأة الأسماء، ومن ثم أصل اللغة، في شكل حوار بين ثلاثة أشخاص: كراتيلوس، وهرموجينس، وسقراط، وقد مثل كل واحد منهم موقفا معينا من المسألة[3]:

---

[1]- مرجع نفسه، ص33.

[2]- نفسه ص 34، وانظر قارة نبيهة: مدخل إلى فلسفة اللغة، 2009. تونس، الوسيطي للنشر، ص92.

[3]- حاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان...مرجع مذكو سابقا ص 71 و72.

1- يقول كراتيليوس: إن أصل الأصوات الدالة على الأشخاص والمعاني (الأسماء) طبيعية النشأة، إذ لكل شيء اسم سديد (صحيح أو صائب) الدلالة مطابق تماما لمدلوله، وليس للناس غيره سواء أكانوا يونانيين أم أعجميين.

2- ويقول هرموجينس: إنه لا مطابقة بين الاسم والمسمى إلا بالوضع (بالاتفاق). فلو سمينا رجلا باسم فهو سديد أو صائب (rectitude)، وإن سميناه باسم آخر فهو أيضا سديد، لأنه لا تسمية بالطبع بل بالاستعمال والعادة.

3- أما شخصية سقراط فتمثل الحَكم الذي تَحاكم إليه كراتيليوس وأرموجينس، وتخيل أفلاطون أنه شيخه سقراط. ولهذا الحَكم رأي ثالث هو مزيج من الرأيين مع زيادات وتنقيحات، وهو طبعا رأي أفلاطون نفسه. وسقراط هذا جد متحفظ، فهو لا يجزم بأحد القولين بل يُلَيّنهما ويشكلهما بحيث يصبحان قولا واحدا مكيفا بما أدخله عليهما من آراء جزئية، وكثيرا ما تكون هذه الآراء مما يرتئيه أفلاطون في فلسفته الخاصة به.

3-4- مباحث من المحاورة:

تضمنت المحاورة مجموعة من المباحث ذات الصلة بأصل اللغة أو الأسماء ونظرية المحاكاة. وقد جمعها الدكتور عزمي إسلام وبوبها في عناوين، ثم حللها، أثناء ترجمته ودراسته لها؛ ونذكر منها: الأسماء والوجود، وظيفة الأسماء، مُطلِق الأسماء وأصل اللغة، مستخدم الأسماء، كيف يطلق المشرِّع الأسماء، الصواب الطبيعي للأسماء ونظرية المحاكاة...إلخ.

وفيما يلي، نُلخّص مبحثيْ وظيفة الأسماء، ووضع الأسماء وأصل اللغة[1]:

3-4-1- **وظيفة الأسماء**: الأسماء جزء من الكلام أو اللغة عند أفلاطون، فهو يرى أن الاسم أداة أو وسيلة لنقل المعلومات عن الأشياء وتوصيلها من فرد لآخر، كما أنها وسيلة

[1]- عزمي طه: فلسفة اللغة عند أفلاطون...مرجع سابق ص 37.

لتمييز الأشياء بحسب طبائعها؛ لأن الاسم الصحيح عنده يشير إلى طبيعة الشيء الذي يسميه ويخبرنا بحقيقته، وبالتالي يميزه عن غيره من الأشياء

3-4-2- **وضع الأسماء وأصل اللغة**: إن الأسماء لابد لها من واضع، وليس أي واحد تسنح له فكرة الوضع، بل واضع واحد حكيم، أو يستلهم حكمته من الفيلسوف، وعليه فكلما كان واضع الأسماء أكثر معرفة بطبيعة الأشياء وأكثر حكمة، كان وضعه للأسماء أكثر صوابا. وهكذا تتفاوت الأسماء في دلالتها على المسميات، صوابا أو خطأ، بتفاوت مهارة واضعيها.

وإن الكلام عن واضع الأسماء الأول، هو كلام عن أصل اللغة وواضع نشأتها الأولى، وإذا نظرنا إلى واضعي الأسماء المحتملين نجد أننا أما احتمالين رئيسين:

- أن يكونوا آلهة، والآلهة-كما يرى أفلاطون-"إذا كانوا يطلقون الأسماء على الأشياء فإنهم يطلقونها بصورة صحيحة"؛ لأنهم الأكثر حكمة ومعرفة بالأشياء.
- أو أن يكونوا بشرا، وهؤلاء متفاوتون في معرفتهم وفي حكمتهم وفي قدرتهم على إطلاق الأسماء، فالأكثر حكمة يكون أكثر قدرة، وتكون الأسماء التي يطلقها أكثر صوابا.

ويمثل هذان الاحتمالان مبدأين متباينين في الفلسفة، فيما يتعلق بأصل اللغة والأسماء؛ حيث يمثل الأول مبدأ التوقيف الإلهي، ويمثل الثاني مبدأ الوضع البشري.

لقد استمر الجدال حول هذه المسألة طيلة قرون بعد أفلاطون، فتناولها أصحاب فيثاغورس، والسفسطائيون والرواقيون، ثم كانت لها أصداء عند نحاة الرومان وشعرائهم. وجدال شبيه به عند العرب منذ أواخر القرن الثاني الهجري حول مسألة: هل اللغة إلهام وتوقيف من الله سبحانه، أم تواضع واصطلاح؟ واستمر هذا الجدال مدة طويلة بعد ذلك الزمان[1].

[1]- حاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان...ص 72 والهامش 36.

وعموما، لقد أدى الخلاف الحاصل حول أصل الأسماء واللغة في محاورة أفلاطون، من الناجية التاريخية، ودفاع كل فريق عن حجته ودحضه لحجة خصمه، إلى النشأة المبكرة للنظرية اللغوية، إثر تحفيز الناس على الدراسة المفصلة للغة اليونانية؛ من حيث الأصوات والألفاظ والدلالات والصيغ والتراكيب. وبفضل هذه الدراسات انطلقت بداية التحليل اللغوي الدقيق[1].

[1]- روبنز: موجز تاريخ علم اللغة...ص 41.

المحاضرة الرابعة:

اللغة عند الفلاسفة اليونان (أرسطوطاليس):

مقدمة:

أرسطو«Aristote» فيلسوف يوناني موسوعي، عاش بين (384-322ق.م)، تلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر المقدوني. تتناول فلسفته "جميع المعارف الإنسانية التي كانت سائدة في زمانه، وقد بلغ هو بتفكيره ذروة العبقرية البشرية، وأحاطت آراؤه بأوسع مظاهر الوجود الطبيعي والمدني"[1]، من الأخلاق والسياسة والمنطق إلى الفيزياء وعلم الأحياء والتاريخ الطبيعي واللغة وغيرها.

عرف أرسطو أعمال أفلاطون، وعلى أساس هذه الأعمال طور أفكاره الخاصة به. وربما كانت أفكار أرسطو هي الأفكار الأكثر لفتا للنظر في العالم القديم. وكما هو الشأن في تفرق أعمال أفلاطون اللغوية في محاوراته، فإن أفكار أرسطو اللغوية كذلك متناثرة في أعماله المتنوعة عن الخطابة والمنطق والشعر؛ حيث ترد في سياقات مختلفة. ويمكن النظر إلى أفكار أرسطو اللغوية على أنها تطوير متميز للافتراضات التي توصل إليها أفلاطون في دراسته للظاهرة اللغوية[2].

لقد تبوأ موضوع اللغة في المتن الأرسطي مكانة متميزة، إذ لا وجود لمؤلَّف من مؤلفاته وإلا وفيه حديث عن اللغة[3]؛ ومن أهم مؤلفاته التي لها صلة بدراسة اللغة، وتركت أثرا علميا بارزا على كتابات الأجيال اللاحقة: كتاب "العبارة" وكتاب "الخطابة" وكتاب "فن الشعر". ويمكن تحديد بعض مظاهر اهتمام أرسطو باللغة في هذه المؤلفات، من خلال عرض النماذج التالية:

---

[1]- فروخ عمر: الفلسفة اليونانية في طريقها إلى العرب، 1947، ط1. بيروت-لبنان، مكتبة ميمنة، ص 57.

[2]- روبنز: مرجع سابق ص 35.

[3]- بغورة الزواوي: الفلسفة واللغة، 2005، ط1. بيروت-لبنان، دار الطليعة، ص 8.

1- أقسام اللغة وتحليلاتها في كتابات أرسطوطاليس:

1-1- كتاب " العبارة ":

من بين ما تضمنه هذا الكتاب وله علاقة بدراسة اللغة ما يلي:

1-1-1-تحديده لدلالتي الاسم والكلمة، وإشارته إلى أصل الأسماء:

يقول أرسطو عن تحديده للاسم: "فالاسم هو لفظة **دالة بتواطؤ، مجردة من الزمان**، وليس واحد من أجزائها دالا على انفراده...فأما قولنا **بتواطؤ** فمن قِبل أنه ليس من الأسماء اسم بالطبع إلا إذا صار دليلا، فإن الأصوات أيضا التي تُكتب نجدها قد تدل على شيء مثل أصوات البهائم، إلا أنه ليس شيء منها اسم"[1].

ثم يقول في تحديده للكلمة (الكلمة عند أرسطو هي -حسب ابن رشد[2]-التي تسمى عند العرب الفعل*): "وأما الكلمة فهي **ما يدل** –على ما تدل عليه-**على زمان**، وليس واحد من أجزائه يدل على انفراده، وهي أبدا دليلُ ما يقال على غيرها"[3].

تكلم أرسطو في هذين النصين عن دلالتي الاسم والكلمة (الفعل) باعتبارهما من أقسام الكلام (بالإضافة إلى الأقسام التي يذكرها في كتاب فن الشعر)، ويسميهما ONOMA وRHÉMA. ويميزهما عن باقي الأقسام، من حيث أنهما **يدلان على معنى**. ويعتبر أن **الفارق** الأساسي بين مدلول كل من الاسم والكلمة **هو الزمان**[4]، فأما **الاسم فمجرد** منه وأما **الكلمة فمقترنة** به. ويوضح ابن رشد في تلخيصه لكتاب فن الشعر هذا المعنى بقوله:

---

[1]- أرسطو طاليس: العبارة، ضمن (منطق أرسطو)، ترجمة إسحاق بن حنين، تحقيق عبد الرحمن بدوي، 1980، ط1. بيروت-لبنان، دار القلم، ص 100.

[2]- ابن رشد: تلخيص كتاب أرسطو طاليس في العبارة، تحقيق محمد سالم، 1978. مصر، دار الكتب، ص 27.

*- للأستاذ الحاج صالح تحفظ على مساواة دلالة (الكلمة) عند أرسطو بدلالة (الفعل) عند العرب، فقد توصل بعد تتبعه لدلالة (الكلمة) في نصوص أرسطو ومقارنتها بدلالة (الفعل) عند العرب إلى النتيجة التالية: "بيّن أن ارسطو لا يعني بالكلمة المفهوم اللغوي المسمى عند العرب فعلا وعند النحاة المحدثين verbe بل مدلولا منطقيا وهو اللفظ الذي يُحمل على الموضوع في الحكم" (بحوث ودراسات في علوم اللسان: ص 80).

[3]- أرسطو: العبارة...مرجع سابق ص 101.

[4]- حاج صالح عبد الرحمن: منطق العرب في علوم اللسان، 2010، الجزائر، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، ص49 وما بعدها.

"وبكون الكلمة دالة على زمان المعنى تفارق الاسم، فإن الإنسان والأبيض ليس يدلان على الزمان، وأما مشى ويمشي فيدلان على الزمان الماضي والحاضر"[1]. وتمثل ثنائية الاسم والكلمة (الفعل) عند أرسطو جزأي الحكم، يهتم بهما من أجل الحكم فقط، وأن الكلمة هي كل ما يحكم به على شيء؛ وذلك الشيء هو الاسم. وقد يوافق هذان المفهومان-ما جاء في التحليل النحوي العربي بعد سيبويه-المحدث عنه (المسند إليه) والمحدث به (المسند) بشرط أن يعتبر فيهما التصديق والتكذيب؛ أي من حيث صحة الحكم وبطلانه[2].

1-1-2-أصل الأسماء ومبدأ التواطؤ:

وزيادة على تحديد أرسطو لمدلولي الاسم والكلمة، فقد حدد أيضا في النص الأول موقفه من قضية أصل الأسماء واللغة، وذلك باختياره – خلافا لأستاذه أفلاطون-مذهب **التواضع والاصطلاح** في اللغة، من خلال ربطه الاسم بـ"**التواطؤ**"، وتكريره للفظة تواطؤ مرتين. ثم تأكيد موقفه في قوله: "وكل قول فدالٌ، لا على طريق الآلة، لكن كما قلنا على طريق **المواطأة**"[3]. وبعبارة ابن رشد في تلخيصه لكتاب العبارة: "والقول إنما يدل على طريق التواطؤ، لا بالطبع"[4]. بمعنى أن كل أقسام الكلام هي ألفاظ متواضعٌ عليها؛ أي تدل بتواطؤ بين القوم، وتلك هي ميزة اللغات البشرية.

لم يذكر أرسطو في كتاب العبارة، من أقسام الكلام، إلا الاسم والكلمة (بالإضافة إلى ذكره للقول ودلالته، لكنه لا يدخل ضمن أقسام الكلام)، والسبب في ذلك واضح؛ فهو يعالج اللغة في "الأرغانون" من الجانب المنطقي ولا يلتفت إلى هذين القسمين-وإلى الأقسام الأخرى-من الناحية اللغوية، إلا في كتابي الشعر والخطابة[5]، والدليل على ذلك

---

[1]- ابن رشد: تلخيص كتاب الشعر، تحقيق تشارلس بترورث وأحمد هريدي، 1986. مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 112.

[2]- الحاج صالح عبد الرحمن: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ج1، 2007. الجزائر، موفم للنشر، ص 54 و55.

[3]- أرسطو: العبارة...مرجع سابق ص 103.

[4]- ابن رشد: تلخيص كتاب أرسطو طاليس في العبارة...ص 42.

[5]- الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان...ص 63.

اقتصاره في هذا الكتاب على دراسة الأقوال الجازمة (الخبرية) التي تقبل الحكم عليها بالصدق أو الكذب.

1-1-3- معيار الصدق والكذب وعلاقته بالخبر والإنشاء:

يقول أرسطو: "وليس كل قولٍ بجازم، وإنما الجازم القول الذي وُجد فيه الصدق أو الكذب، وليس ذلك بموجود في الأقاويل كلها. ومثال ذلك الدعاء، فإنه قول ما، لكنه ليس بصادق ولا كاذب. فأما سائر الأقاويل غير ما له منها فنحن تاركوها، إذ كان النظر فيها أولى بالنظر في الخطب [الخطابة] أو الشعر. وأما القول الجازم فهو قصدنا في هذا النظر"[1]. ويقول ابن رشد موضحا "...غير الجازم مثل الأمر والنهي...والقول الجازم هو الذي يتصف بالصدق أو الكذب"[2].

لقد أولى أرسطو أهمية كبيرة في كتاب العبارة للحكم المنطقي باللجوء إلى تحليل بنية اللغة اليونانية، وكان أكبر همه هو الخطاب الخبري؛** لأنه يمكن تصديقه أو تكذيبه[3]. ولأن قصد أرسطو في كتاب العبارة -كما يؤكد ابن رشد-هو "إنما التكلم في القول الجازم، وأما ما عداه من الأقاويل التامة فهو يتكلم فيها في كتاب الخطابة والشعر"[4].

---

[1]- أرسطو: العبارة...ص 103.

[2]- ابن رشد: تلخيص كتاب أرسطو طاليس في العبارة...ص 42 و43.

- وهذا أيضا ما لاحظه طه عبد الرحمن في كتاب المقولات حيث يقول "وإذا ثبتت الأعراض اللغوية الخاصة التي تكتنف المقولات الأرسطية، ترتب على ذلك أنها ليست، على عكس الاعتقاد السائد، بالمحمولات الكلية التي تقوم مقتضياتها بجميع الألسن، على اختلاف أشكالها وأطوارها، **وإنما هي مجرد استقراء لصور التبليغ الخبري أو قل (صور الإخبار) في اللسان اليوناني" (اللسان والميزان، ط2. 2006، المغرب، المركز الثقافي العربي، ص 339)

[3]- الحاج صالح: منطق العرب...ص 51.

[4]- ابن رشد: تلخيص العبارة...ص 43.

1-2-كتاب "فن الشعر" ومباحثه اللغوية:

رغم قِدم هذا الكتاب إلا أنه يبقى، منذ اكتشافه، في العصور الحديثة وحتى الآن، يشغل بمعلوماته وأسراره أذهان الباحثين في مجال الفكر الأدبي، والدرامي والملحمي، والتراجيدي بصفة خاصة[1].

والذي يهمنا في هذا الكتاب هو الفصول الأربعة الخاصة بدراسة اللغة، التي تبدأ من الفصل التاسع عشر وتنتهي بالفصل الثاني والعشرين. حيث يستهلها أرسطو بتحليل اللغة انطلاقا من أدنى مستوى وهو الأصوات مرورا بالمقاطع، والألفاظ الدالة وغير الدالة، إلى العبارات أو الجمل. وقبل هذا يضع أرسطو اللغة في المرتبة الرابعة بين مكونات التراجيديا الستة. ويُعرِّفها في هذا السياق بأنها "التعبير عن أفكار الشخصيات بواسطة الكلمات، وجوهرها هو نفسه في كل من الشعر والنثر"[2].

1-2-1-أقسام اللغة أو الكلام:

يُبرز أرسطو مكونات اللغة في قوله: "تتألف اللغة بوجه عام من الأجزاء التالية: الحرف الهجائي (أو العنصر الأساسي)، والمقطع وأداة الربط، وأداة الوصل، والاسم والفعل، والتعريف، والعبارة (الجملة)"[3]، ثم يحدد كل مكون كما يلي[4]:

1- "والحرف الهجائي هو صوت غير قابل للتجزيء...والحرف إما صائت، أو نصف صائت، أو صامت".

2- "والمقطع، صوت خال من الدلالة والمعنى، ويتركب من حرف صامت، وآخر صائت، أو نصف صائت".

---

[1]- أرسطو: فن الشعر، ترجمة وتعليق إبراهيم حمادة، (د ت)، مصر، مكتبة الأنجلومصرية، ص 4 (من مقدمة المترجم).

[2]- نفسه ص99.

[3]- مرجع نفسه، ص 180.

[4]- أرسطو: فن الشعر...الصفحات 180 و181 و182.

3- "وأداة الربط عبارة عن صوت بلا دلالة أو معنى، وهذه الأداة لا يمكن أن تقوم صحيحة بذاتها في بداية عبارة أو جملة". ويوضح ابن رشد طبيعتها في قوله: "وذلك بمنزلة الواو العاطفة وثم، وهي بالجملة **الحروف التي تربط الكلام** بعضه ببعض"[1].

4- "وأداة الوصل، صوت بلا دلالة يحدد **بداية العبارة أو نهايتها**، أو جزءا منها". ويستعمل ابن رشد في هذا القسم من اللغة، بدل عبارة "أداة الوصل" مصطلحا أكثر دقة ودلالة وهو "**الفاصلة**"، ويحددها بأنها "الحروف التي **تفصل قولا عن قول**، مثل **إما** المكسورة و**إلا** وحروف **الاستثناء** و**بل ولكن** و**ما** أشبه ذلك...ونعني بها ها هنا صوت غير دال بانفراده، الأصوات البسيطة التي تدل بالتركيب، أعني إذا ركبت مع غيرها، وهي الحروف، أعني حروف المعاني لا حروف المعجم"[2].

5- "والاسم صوت دال، مركب من أصوات. ولا يدل على الزمن، والجزء منه إذا انفصل لا يفيد معنى بذاته".

6- والفعل صوت مركب له دلالة، ويدل على الزمن، وكما هو الحال في الاسم، فإن أي جزء منه لا معنى له في ذاته".

7- "والتصريف يتعلق بالاسم كما يتعلق بالفعل، ويدل على: -(أ) العلاقة كما في "لِـ" أو "إلى" ونحوهما. -(ب) أو على العدد، سواء كان جمعا أو مفردا. -(ج) أو على طريقة أو نغمة النطق في الإلقاء، كالسؤال أو الأمر".

8- "والعبارة (أو الجملة) صوت مركب دال على معنى، وبعض أجزائه له معنى أو دلالة في ذاته".

يشير روبنز في كتابه "موجز تاريخ اللسانيات"، أثناء عرضه للفترة اليونانية، أن أرسطو أبقى على تقسيم شيخه أفلاطون للجملة اليونانية؛ التي قسمها إلى مكون اسمي ومكون فعلي. وأضاف إليها أرسطو نوعا ثالثا من المكونات النحوية، وهو النوع الذي أصبح يعرف فيما بعد بالروابط والأداة والضمائر (وهو النوع الذي يقابله الفارابي وابن رشد بما يعرف في النحو

[1]- ابن رشد: تلخيص كتاب الشعر...ص 111.

[2]- نفسه ص نفسها.

العربي بـ "حروف المعاني)***. وقد قصد أرسطو بهذا التحليل الثلاثي للجملة –كما يؤكد روبنز–**تمييز مكونات العبارة الإخبارية**، التي كان أرسطو أكثر اهتماما بها **بوصفه فيلسوفا منطقيا**[1]، وليس عالما لغويا. أي إنه سعى إلى تحليل مكونات الجملة انطلاقا من كونه منطقيا، وليس لغويا. ولهذا اهتم بالتحليل المنطقي للجمل الإخبارية على حساب الجمل الإنشائية.

غير أن اهتمامه بالعبارات الإخبارية لم يمنعه من الالتفات إلى ما يتعلق بقضايا البلاغة، حيث ترك فيها بصمته التي أصبحت مفتاح الولوج إلى مناقشة مباحث تدخل اليوم في صميم البحث البلاغي العرفاني، ومنها مفهوم الاستعارة.

1-2-2-التأسيس لنظرية الاستعارة:

يرى بعض الباحثين "أن الموضوع الأساسي الذي طرحه أرسطو في فن الشعر، هو بلا جدال موضوع المجاز عامة والاستعارة خاصة"[2]. ويعتبر الباحث 'أمبرتو إيكو' في كتابه "السيميائية وفلسفة اللغة"، أن أول من تعرض لموضوع الاستعارة هو الفيلسوف أرسطو في كتابه "فن الشعر"؛ حيث حدد في بعض نصوصه مفاهيم شكلت فيما بعد نظرية الاستعارة. وقد ارتبطت جميع النظريات اللاحقة حول الاستعارة، وصولا إلى وقتنا الحاضر، بدرجات متفاوتة، بالتعريف الأرسطي[3].

فما هو تعريف أرسطو للاستعارة أو الاسم المجازي (كما تُرجم)؟

***- ينكر بعض الباحثين هذا التقسيم الثلاثي لأقسام الكلام، وينسبون إلى أرسطو، بدلا عن الثلاثي، تقسيما رباعيا هو (الاسم والكلمة والرباط والفاصلة). انظر مثلا حجج وبراهين الحاج صالح على نسبة هذا التقسم الرباعي وليس الثلاثي لأرسطو. (الحاج صالح منطق العرب في علوم اللسان. ص 49 وما بعدها).

[1]- روبنز: مرجع سابق ص 51.

[2]- بغورة الزواوي: الفلسفة واللغة...مرجع سابق ص 26.

[3]- أمبرتو إيكو: السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة أحمد الصمعي، 2005، ط1. بيروت-لبنان، المنظمة العربية للترجمة، ص 246.

يعرف أرسطو الاستعارة في قوله: "أما الاسم المجازي فهو **إعطاء اسم يدل على شيء إلى شيء آخر**، وذلك عن **طريق التحويل**؛ إما من جنس إلى نوع، أو من نوع إلى جنس، أو من نوع إلى نوع، أو عن طريق القياس"[1].

ثم ينتقل أرسطو إلى الفصل الثاني والعشرين، للحديث عن المظاهر البلاغية في اللغة الشعرية وأسلوبها؛ حيث يقول: "فإن اللغة تصبح متميزة وبعيدة عن الركاكة إذا ما استخدمت فيها الكلمات غير المشاعة مثل: الكلمات الغريبة (أو النادرة) والمجازية والمطولة، وكل ما ابتعد عن وسائل التعبير الشائعة. إلا أن اللغة التي تتألف كلية من مثل هذه الكلمات تكون إما مُلغّزة، وإما رطانة مبهمة. وأقصد باللغة الملغزة تلك التي تتألف من مجازات واستعارات...والواقع أن طبيعة اللغة الإلغازية تتمثل أساسا في التعبير عن حقيقة ما بكلمات موضوعة في تركيبات لغوية مستحيلة، وهذا لا يحدث في المسميات العادية للأشياء، ولكن باستعمال بدائلها المجازية"[2].

يتبين من هذا النص اهتمام أرسطو بالأساليب البلاغية واللغة المجازية التي لا يعتبرها حلية أو زخرفا لغويا يزين الكلام، بل ينظر إليها باعتبارها "وسيلة عرفانية وأداة وضوح ولغز"[3]. ويتضح ذلك جليا في وصفه للاستعارة أو المجاز بأنه "الشيء الوحيد الذي لا يمكن أن يتعلمه المرء عن غيره، إنه آية العبقرية، لأن صياغة المجاز الجيد تدل على موهبة بصيرية قادرة على إدراك وجوه الشبه في أشياء غير متشابهة"[4].

وبفضل هذه النصوص وغيرها، وما حملت من مفاهيم بلاغية، وعن الاستعارة تحديدا، يكون أرسطو –حسب إيكو-قد تفوّق منذ البداية على منظري الاستعارة السهلة الذين كانوا يشكُّون في طبيعتها التجميلية، كما تفوّق على الكُتّاب الذين كانوا يريدون أن تكون الاستعارة

---

[1]- أرسطو: فن الشعر...ص 186.

[2]- نفسه 189.

[3]- أمبرتو إيكو: السيميائية وفلسفة اللغة...ص 265.

[4]- أرسطو: فن الشعر...ص 192.

مسلِّية ولاذعة فحسب، وتفوّق أخيرا على علماء الدلالة الحاليين الذين يرون في الزخرف اللفظي، بنية سطحية أكثر من السطحية ذاتها[1].

1-3-كتاب الخطابة:

1-3-1-مركزية أرسطو في التأسيس لنظرية البلاغة الجديدة أو الحجاجية:

يعد أرسطو أول من ألف كتابا في موضوع فن الخطابة (البلاغة)، وكل ما يتعلق بالخطيب والجمهور، واستراتيجية التأثير في السامعين، والحجج التي ينبغي على الخطيب اللجوء إليها لإقناع جمهوره ومستمعيه. وقسّم كتابه (الخطابة) إلى ثلاثة مقالات؛ خصص الأولى لمفهوم الخطابة وغاياتها وأنواعها وموضوعاتها، والثانية لكيفية التأثير في نفوس الآخرين، والثالثة للأسلوب وصفاته الجمالية والتأثيرية.

ولما كانت أداة الخطيب هي اللغة، فقد كان على أرسطو أن يبحث فيما يتصل منها بأحداث التأثير وطريقة صياغة الحجج، فتحدث عن المجاز والاستعارة والتشبيه والجناس والتورية والأسلوب،[2] باعتبارها آليات لغوية توظف للتأثير على الجمهور.

وعليه فقد كانت الخطابة (البلاغة) عند أرسطو خطابا حجاجيا يقوم على وظيفتي التأثير والاقناع، ويتوجه إلى الجمهور السامع قصد توجيهه أو إقناعه إيجابا أو سلبا. ولذا يعد أرسطو **المؤسس الحقيقي للبلاغة** ومنطق القيم[3].

وقد سبق عصره بآرائه البلاغية الرائدة في مجال الحجاج والإقناع، باعتباره البلاغة فنا خطابيا بامتياز، إذ يستخدم أدوات حجاجية واستدلالية ومنطقية للتأثير في الآخر، واقناعه ذهنيا ووجدانيا. ويبرز ذلك الحجاج عبر مجموعة من الوسائل الأدائية؛ فإما أن يتحقق عبر "اللوغوس" الذي يعني الكلام والحجج والأدلة العقلية والمنطقية، ويظهر ذلك جليا في نسق الرسالة التواصلية. وإما يتحقق عبر "الإيتوس" الذي يتمثل في مجموعة من القيم الأخلاقية والفضائل

---

[1]- إيكو: مرجع سابق ص 266.

[2]- أرسطو: الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، 1980. العراق، دار الرشيد للنشر، ص 5و6.

[3]- حمداوي جميل: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، 2014، المغرب، إفريقيا الشرق، ص 25.

العليا التي ينبغي أن يتحلى بها الخطيب أو البلاغي المرسِل، وإما يتجسد في "الباتوس" الذي يتعلق بالمخاطَب، ويكون في شكل أهواء وانفعالات ومشاعر[1].

وعن أهمية ما قدمه أرسطو في هذا الكتاب، يقول أحد الباحثين: "إن ما قدمه أرسطو يعد وباتفاق جميع الدارسين، قاعدة أساسية للتفكير في اللغة والخطابة على السواء. وكتابه الخطابة ما زال إلى اليوم يشكل مرجعا أساسيا في كل تفكير لغوي وخطابي"[2]. وقد كان مرجعا أساسيا في ظهور ما يعرف في الدراسات الحجاجية عند الغرب بـ"البلاغة الجديدة" أو "البلاغة الحجاجية" أو " الحجاج البلاغي عند الأرسطيين الجدد".

[1]- مرجع نفسه ص 26.

[2]- بغورة الزواوي: الفلسفة واللغة...ص 25.

المحاضرة الخامسة:

فلسفة اللغة عند العرب (أبو نصر الفارابي 01).

- **مقدمة:**

لما كان للفلسفة اليونانية تأثير على معظم الحضارات اللاحقة في الاهتمام بدراسة مختلف المجالات الفكرية والظواهر الكونية والإنسانية، فقد اهتم أيضا فلاسفة هذه الحضارات بدراسة اللغة تأسيا بالفلاسفة اليونانيين. ولم يشذ المناطقة والفلاسفة المسلمون والعرب الأوائل عن هذا التقليد؛ حيث اشتغل الكثير منهم باللغة ومسائلها تحليلا ونقدا، وخصصوا لها مباحث مستقلة في مؤلفاتهم. ومن أبرز هؤلاء الفلاسفة نذكر؛ أبا نصر الفارابي (259-339ه)، والشيخ الرئيس أبا علي بن سيناء (370-427ه) وأبا حامد الغزالي (450-505ه) وأبا الوليد بن رشد (520-595ه) وفخر الدين الرازي (544-606ه) ...وغيرهم. فالفارابي مثلا له كتاب "الحروف" وكتاب "إحصاء العلوم" و"كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق". وابن سيناء له كتاب "أسباب حدوث الحروف"، والغزالي له "معيار العلم"، وابن رشد له كتاب "تلخيص كتاب الشعر لأرسطو طاليس" و "تلخيص كتاب أرسطو طاليس في العبارة"، وفخر الدين الرازي له "التفسير الكبير" و"نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"... وغيرها من الكتب المهتمة بمبحث واحد على الأقل، أو أكثر، من مباحث اللغة في الفكر الفلسفي عند الفلاسفة العرب الأوائل.

والسؤال الذي يمكن طرحه ويكون منسجما مع السياق الذي تقدم: ما المباحث اللغوية التي اهتم الفلاسفة العرب بدراستها؟ وما الذي أضافوه من أفكار ومسائل لموضوعات فلسفة اللغة، زيادة على ما درسه فلاسفة اليونان؟ وما أهم الظواهر التخاطبية التي أولوها أهمية ذات بال في أبحاثهم اللغوية؟

ولمحاولة الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها، نخصص هذه المحاضرة لإبراز التفكير اللغوي عند المعلم الثاني؛ الفيلسوف المنطقي أبي نصر الفارابي، من خلال دراسة بعض مؤلفاته

التي لها صلة بمسألة اللغة، وسنركز على تحليل نصوص كتاب "الحروف" بوصفه عينة متضمنة لأهم تصورات الفارابي اللغوية.

1- أبو نصر الفارابي؛ تكوينه وتأثره بفلسفة أرسطو:

تؤكد معظم المصادر أن أبا نصر الفارابي من أصل تركي عاش ما بين(259-339ه). وُلد في فاراب؛ أوزباكستان الحالية، أمضى شبابه فيما وراء النهر. ولما بلغ الأربعين، أو تجاوزها، هاجر إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية. وفي بغداد عكف على دراسة الطب والموسيقى والفلسفة والفلك والرياضيات والمنطق. وتعلم العربية وعلومها على يد النحوي البغدادي أبي بكر بن السراج، وكان له اتصال بالأديب الفيلسوف أبي حيان التوحيدي[1]. وعاش المناظرة التاريخية التي وقعت بين الفيلسوف المنطقي أبي بشر متى بن يونس والنحوي أبي سعيد السيرافي، وتعلم الفارابي من هذه المناظرة ضرورة التوفيق بين التبحر في الفلسفة والمنطق وبين التعمق في معرفة اللغة وعلومها.

كما تأثر الفارابي بالفيلسوف اليوناني أرسطو تأثرا شديدا، وأُعجب به غاية الإعجاب حتى اقتفى أثره في معظم آرائه الفلسفية[2] (إحصاء العلوم 6). واستشهد بأقواله في مواضع كثيرة من كتبه المختلفة. وكان السبّاق، في الإسلام، إلى دراسة المنطق الأرسطي ككل؛ حيث يؤكد هو نفسه –حسب محمد الجابري- "أن دراسة المنطق الأرسطي ككل، لم تبدأ في الإسلام إلا معه هو"[3]. **ولهذا استحق الفارابي لقبي (المعلم الثاني وأرسطو العرب) ما جعله في منظور الثقافة العربية الإسلامية، يحتل المرتبة الثانية بعد أرسطو (المعلم الأول) في الفلسفة عامة، وصناعة المنطق خاصة[4].**

---

[1]- زينب عفيفي: فلسفة اللغة عند الفارابي، دار قباء، القاهرة-مصر. 1997، ص26.

[2]- الفارابي: إحصاء العلوم: تقديم وشرح علي أبوملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، 1996. مقدمة الشارح ص 06

[3]- محمد الجابري: تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان. ط10، 2009. ص 226.

[4]- نفسه ص264.

هذا، وترك الفارابي مؤلفات جمة أبرزها: "إحصاء العلوم" و"الحروف" و"الألفاظ المستعملة في المنطق" و"آراء أهل المدينة الفاضلة" و"الجدل" و"البرهان" و"السياسة المدنية"...وغيرها.

2- مصاحبة الفارابي للنحاة واللغويين العرب وأثر ذلك على تكوينه اللغوي:

كان للفارابي في حياته العلمية مخالطة واحتكاك ببيئة النحاة واللغويين، فقد اشتهر عنه ملازمته للنحوي البغدادي أبي بكر بن السراج، وأخذه عنه الكثير من المعارف المتصلة باللغة والنحو العربيين. كما تعلم عنه ابن السراج المنطق والفلسفة. وبهذا "استفاد كل منهما من الآخر بحيث استطاع الفارابي أن يكون له تصور دقيق عن النحو العربي وعلوم العربية عامة ومن ثم وبسبب عبقريته استطاع أن يكون له تصور واضح عن بحوث تعمّ كل الألسنة البشرية"[1].

وتظهر آثار تعلم الفارابي النحوَ على ابن السراج -أيضا-في اهتمامه بالصلة بين النحو والمنطق، وهو أمر لم ينظر فيه أيُّ مفكر إسلامي قبل الفارابي أو بعده؛ بالتفصيل والتعمق الذي نظر فيه الفارابي في مصنفاته العديدة. ولا شك أن ابن السراج كان مصدرا لما يقوله الفارابي عن آراء نحويي العرب وأقوالهم في اللغة، وخاصة ما يقوله في نشأة علم اللسان عند العرب. وقد وثّق اجتماع الفارابي بابن السراج، الصلة بين علوم النحو واللغة من جهة، وبين علوم المنطق والفلسفة من جهة أخرى. وكان الفارابي بمثابة صلة الوصل بين الفكر الفلسفي اليوناني والتراث اللغوي العربي. ولهذا يعد الفارابي، زيادة على علو شأنه في المنطق والفلسفة ومعرفته للكثير من اللغات؛ كاليونانية والفارسية والسريانية والسغدية، عارفا أيضا بالعربية وفقهها ونحوها، وهذا ما أهله لأن يشرح معاني الحروف والألفاظ العربية وعلاقتها بالمنطق، وأن يسهب الحديث عن أصل اللغة وعن نشأتها وصلتها بالفلسفة[2] ويقارن كل ذلك بما جاء في اللغات التي يعرفها.

---

[1]- الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان...ص82.

[2]- الفارابي: الحروف...ص 47 وما بعدها.

أما عن العلاقة بين النحو والمنطق عند الفارابي فهي بتعبير الجابري "علاقة تناسب لا تعاند"؛ حيث تعد ترتيب العلاقة بينهما من أهم المهام التي اجتهد الفارابي في القيام بها[1].

3- الفارابي أقدم من حدد مفهوم "علم اللسان" وموضوعه:

يُعد الفارابي من أوائل الفلاسفة الذين أدركوا قيمة اللغة وضرورة الإحاطة بها لامتلاك ناصية العلوم المختلفة، ومن يطلع على كتب الفارابي المنطقية واللغوية يدرك أننا أمام متخصص في علوم اللسان؛ أدرك قضايا اللغة وأصول مفرداتها واشتقاقاتها وأصواتها، وما عسى أن يكون لحقها من تحوير وتغيير وغير ذلك مما يدخل في نطاق فلسفة اللغة وفقهها، واللسانيات والصوتيات[2].

ويعد الفارابي أول من حدد مفهوم "علم اللسان" وموضوعه، في كتابه "إحصاء العلوم"؛ في قوله: "علم اللسان في الجملة ضربان: أحدهما –حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما، وعلم ما يدل عليها شيء منها. والثاني –علم قوانين تلك الألفاظ. والقوانين في كل صناعة: أقاويل كلية، أي جامعة" ص17. ثم يشرح الفارابي كل عبارة على حدة.

يقول الحاج صالح بعد سرده لأهم نصوص الفارابي الشارحة لمفهوم "علم اللسان" مشيدا بدقته المصطلحية وموضوعيته العلمية وشمولية تصوراته، "بهذا الكلام القيم يتضح لنا مفهوم علم اللسان الذي تصوره العرب، فلاحظ بالخصوص العبارات: "في لسان كل أمة" و"فيما هو مشترك له ولغيره" فإنها تدل بوضوح على عدم اقتصار الفارابي في تقسيماته لموضوعات علم اللسان على لسان معين، **وهذه نظرة لم يسبق لنا أن رأيناها عند النحاة المتقدمين من غير العرب ولا من جاء بعدهم من النحاة الأوربيين في القرون الوسطى حتى القرن الثالث عشر**؛ حيث تمكنوا من الاطلاع على تآليف العرب وخصوصا هذا الكتاب"[3] (الحاج علوم اللسان ص 86)

---

[1]- الجابري: بنية العقل العربي...ص418.

[2]- زينب عفيفي: فلسفة اللغة عند الفارابي، دار قباء، القاهرة-مصر. 1997، ص15.

[3]- الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان...ص86.

لقد نظر الفارابي إلى "علم اللسان" نظرة لغوية محضة؛ باعتباره علما يدرس العام والخاص من الأحداث اللغوية؛ أي ما تشترك فيه جميع اللغات، وما تختص به وما ينقسم إليه من أقسام، **وهو أول مفهوم كان يمكن أن تنطلق منه اللسانيات فيما بعد**[1]، في الحضارتين الأروبية والأمريكية. ويكون الفارابي قد استخلص هذا المفهوم لعلم اللسان من المعرفة العلمية المشتركة بين العلماء العرب، كما يمكن أن يكون قد انتهج هذه المنهجية في وضع الحدود والتعريفات والتقسيمات وتفريعاتها عما تأثر به من طريقة أرسطو في الكتابة المنطقية.

4- ترجمة مصطلح "علم اللسان" أول مرة إلى اللغة اللاتينية بعد ترجمة كتاب الفارابي "إحصاء العلوم" في القرن الثاني عشر الميلادي:

أول ترجمة لكتاب "إحصاء العلوم" إلى اللاتينية قام بها « Girardo Cremonensi » في القرن الثاني عشر الميلادي، وقد جاءت فيها عبارة **« Scientia Lingue »** مقابلة للفظ "**علم اللسان**"، وهذه العبارة هي التي يُحدد بها الآن مضمون الـــ « Linguistics » في جميع الكتب التي تعالج هذه المادة العلمية، وهي « The science of language »، وما يماثلها في اللغات الأروبية الأخرى. **ثم إن هذه التسمية، بهذا المفهوم الذي وجده الأوربيون في كتاب الفارابي، لم يسبق مجيؤها فيما قبل ذلك التاريخ في نص يوناني أو لاتيني** أو أي نص آخر[2].

وبهذا يرجع إلى الفارابي الفضل الكبير على اللاتينيين في توليد مصطلح علمي جديد في لغتهم، بعد ترجمة عبارة "علم اللسان" من كتابه "إحصاء العلوم" إلى عبارة« Scientia Lingue » . وما يكافؤها اليوم في اللغات الحديثة مثل؛ الإنجليزية « The science of language » و الفرنسية « Science du langage ». والتي يساويها في المعنى مصطلح « Linguistics » الإنجليزي و « Linguistique » الفرنسي.

[1]- نفسه ص 66، وص 87 و88.

[2]- الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان...ص87.

5- إضافات الفارابي إلى الفكر الفلسفي اللغوي:

لقد أدرك معظم الفلاسفة والمناطقة العرب القدامى أهمية اللغة في البحث المنطقي والفلسفي، وبذلك كانت لهم إضافات على التراث اليوناني الذي أخذوا عنه. بل إنهم –في رأي بعض الباحثين–سبقوا المناطقة والفلاسفة المحدثين والمعاصرين في إدراك ما للبحث اللغوي من قيمة كبرى في البحث الفلسفي[1].

ومن بين الفلاسفة العرب القدامى السباقين إلى البدء باللغة من أجل دراسة المنطق، والوصول إلى المعاني الحقيقية للمصطلحات الفلسفية هو الفارابي، حيث تعد فلسفة اللغة عند الفارابي موضوع من الموضوعات البالغة الأهمية، خاصة وأنه **يعد من أكثر فلاسفة العرب اهتماما بالمجال اللغوي في علاقته بالفلسفة**. وإن أكثر المفكرين الذين جاءوا بعده في المشرق والمغرب استفادوا منه. ويعد كتاب "الحروف" على رأس كتب الفيلسوف المشرقي أبي نصر الفارابي التي تهتم بالميدان اللغوي وعلاقته بالفلسفة.

وتُكَوِّن فلسفة اللغة عند الفارابي "فلسفة تعبيرية–تحليلية للسان والفكر العربيين الساميين؛ كما تطرح مشكلة فلسفية، بُعدها إمكانية صياغة فلسفة خاصة باللسان العربي. **بدت فلسفة اللغة عند الفارابي ميدانا رحبا** يتناول علاقة الاسم بالمسمى أو اللفظ بالشيء، والحرف بمدلوله الحسي والعقلي؛ ويعلل كيفية نضوج اللغة واكتمالها على صورة اللسان والعقل ضمن الأطر المحيطة بهما. فلم يقدس هذه اللغة أو يحجرها، إنما أعاد تفكيكها وصياغتها تبعا لأصول الفكر التاريخي–الجدلي، والمنطقي–البرهاني، الذي استقاه من منهجية العلوم الدخيلة على الأمة والملة"[2].

يشيد الباحثون المعاصرون بأهمية التفكير اللغوي عند الفارابي وبمكانته المتميزة في الطرح اللغوي عند مفكري العرب؛ حيث يقول الدكتور جيرار جيهامي –في هذا الصدد–: "فقد جلنا في ثنايا مؤلفاتهم [مفكري العرب] ولمّا نقع على دراسة معمّقة شبيهة بتحليلاته المباشرة

[1]- فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية. مصر. 1985، ص 153.

[2]- جيرار جهامي: الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية...ص150 و106.

للإشكاليات التي تولدت عن تفاعل الفكر باللغة والتقاء الدخيل بالأصيل منهما. عالج فيلسوفنا المسألة اللغوية على غير سنة نحويّي عصره ومفكريه، حتى بتنا نفرق معه بين لغة العرب قبل الفلسفة ولغتهم بعدها"[1].

ويعدُّه آخرون "فيلسوفا لغويا" بامتياز، يقول عنه الدكتور الحاج صالح "امتاز الفارابي باهتمامه بظواهر اللغة وبإنتاجه في هذا الميدان بمنظار الميدان الذي ينتمي إليه؛ أي الفلسفة"[2]. وهذا القول يكاد يطابق المعنى العام لمفهوم فلسفة اللغة، الذي يمكن أن نلخصه في عبارة "هي دراسة اللغة بمنظار فلسفي".

[1]- نفسه...ص93.

[2]- الحاج صالح: الخطاب والتخاطب...ص40.

- **المحاضرة السادسة:**

فلسفة اللغة عند العرب " الفارابي 02":

- **مقدمة:**

ترك الفارابي مؤلفات كثيرة، ذات اهتمامات متنوعة تنم عن معرفته الواسعة؛ الفلسفية منها والمنطقية والعلمية والسياسية...غير أن أبرز الكتب التي لها علاقة بموضوع اللغة هي كتاب "الحروف" وكتاب "إحصاء العلوم" وكتاب "الألفاظ المستعملة في المنطق"...

سنحاول في هذه المحاضرة، الحديث عن أهم المباحث اللغوية التي وردت في كتاب "الحروف" كنموذج عما يمكن إدراجه ضمن مبحث الاهتمامات اللغوية العامة للفيلسوف.

1- كتاب "الحروف" وأهم مباحثه اللغوية:

كتاب الحروف من أكبر مصنفات أبي نصر الفارابي وأعظمها للمهتمين بدراسة الفكر العربي عامة والفلسفة الإسلامية وفقه اللغة العربية وعلومها خاصة. كتبه إمام المنطقيين في عصر بلغ فيه الفكر العربي الغاية في تفهُّم أمور العلم واللغة. فلا يستغني عن قراءته من يهتم بالفلسفة واللغة[1]. ويصف الدكتور جيرار جيهامي كتاب الحروف بأنه "المصنف شبه الفريد الذي طرح المشكلة اللغوية في الفلسفة العربية مباشرة، مبرزا الإشكالات اللغوية التي تصدى لها مترجمو العرب ومفكروهم، علاوة على قولبته اللغة وقلبها فلسفة مستقلة عن جهتي القصود والدلالات...فانتقل بذلك من اللغة الفلسفية عند العرب إلى فلسفة لغة اختصوا بها وانفردوا"[2].

ومن أهم مباحث كتاب الحروف البحث في أصل اللغة واكتمالها وعلاقتها بالفلسفة. وعنوان الكتاب دليل على اهتمام الفارابي باللغة؛ لأن "الحروف" التي يقصدها الفارابي في كتابه هي القسم الثالث من أقسام الكلم؛ بالإضافة إلى الاسم والفعل، وهي التي يسميها نحاة وفلاسفة اليونان "الأدوات"، ويسميها نحاة العرب "حروف المعاني". ولا يبحث الفارابي في جميع

[1]- الفارابي: كتاب الحروف، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق-بيروت. لبنان، مدمة المحقق ص 27.

[2]- جيرار جيهامي: الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية...ص91.

حروف المعاني ولا في أكثرها، بل في عدد قليل منها[1]، وهي في معظمها حروف السؤال؛ حيث يُعدّد أصنافها ويُعرّف المعاني التي تدل عليها عند أهل الصنائع الخمس –كما يسميها- وهي الفلسفة المنطقية أو البرهانية والفلسفة الجدلية والفلسفة السوفسطائية وصناعتي الخطابة والشعر. ويبين فروق توظيفات وأغراض هذه الحروف في هذه الصنائع، يقول بهذا الصدد: "فإن كل صناعة من الصنائع القياسية الخمس فيها ضرب أو ضروب من السؤال خاص بها، ففي الفلسفة سؤال برهاني وفي السفسطة سؤال سوفسطائي وفي الخطابة سؤال خطبّي وفي الشعر سؤال شعري..."[2].

وقد رام الفارابي في كتابه الحروف-حسب الجابري- "تأسيس الفلسفة في الثقافة العربية الإسلامية انطلاقا من تصور شامل يتناول كيفية نشأة اللغة أصواتا وحروفا وألفاظا وتراكيب لدى جماعة بشرية معينة ومراحل تطور المعارف وانتظامها في علوم وفنون وما يرافق ذلك من تطور في البحث والاستدلال انطلاقا من الطرق الخطبية والشعرية إلى الطرق الجدلية والسفسطائية إلى الطريقة البرهانية التي يحصل بها العلم اليقيني"[3]. وبهذا يكون الاهتمام بدراسة الظواهر اللغوية لدى الفارابي هي المرحلة الأولى في التفكير الفلسفي الرامي إلى الوصول إلى العلم اليقين.

1-1- أول الكلام النداء:

أشار الفارابي في نصه إلى أن أول التصويتات التي استعملها الإنسان للتواصل مع غيره هو (النداء)، وقد حدد غرضه في تنبيه المقصود بالتفهيم؛ حيث يقول: "ثم استعمل بعد ذلك **التصويت**. وأول التصويتات **النداء**-فإنه بهذا **ينتبه** من يلتمس تفهيمه أنه هو **المقصود بالتفهيم** لا سواه-وذلك حين ما يقتصر في الدلالة على ما في ضميره بالإشارة إلى المحسوسات"[4].وجعلُ الفارابي النداءَ هو أول التصويتات التي بدأ بها الإنسان التواصل اللغوي

---

[1]- الفارابي: الحروف، مقدمة المحقق ص29.

[2]- نفسه ص 226.

[3]- الجابري: بنية العقل العربي...ص 419.

[4]- الفارابي: الحروف...132.

مع غيره من بني جنسه، ينسجم انسجاما فكريا تاما مع ما قاله النحاة العرب القدامى؛ حيث يقول سيبويه في حديثه عن النداء: "**أول الكلام أبدا النداء**...فلما كثر **وكان الأول في كل موضع**، حذفوا منه تخفيفا...حتى جعلوه بمنزلة الأصوات أو ما أشبه الأصوات من غير الأسماء المتمكنة"[1]. والنداء -كما هو معروف في البلاغة العربية- فعل كلامي طلبي([2]) يتحقق نجاحه بتوفر المنادي والمنادى عليه، وتكون أداة النداء صوتا؛ همزة أو يا... وغالبا ما ينتج عن فعل النداء أثر أو ردة فعل من قبل المُخاطب؛ أثرا فوريا أو آجلا. لكن الذي قصده الفارابي هو النداء الذي يتحقق بفضله التواصل تلبية لحاجة اجتماعية ملحة، لأنه في اعتقاده هو أول التصويتات التي استعملها الإنسان للتواصل مع غيره، ويؤكد ذلك بقوله" **والنداء يتقدم بالزمان كل ما سواه من أنواع المخاطبة**"[3].

هذا، وعلى الرغم من أن المتكلم يستطيع أن يلجأ إلى استعمال النداء لتأدية أغراض تخاطبية متنوعة (الاستغاثة، التحذير، التنبيه...)، نجد الفارابي خصه بغرض واحد فحسب وهو التنبيه. وتفسير ذلك أن الفارابي **حصر النداء بموقف تخاطبي محدد هو تنبيه مخَاطب بعينه من بين الكثير من المستمعين بأنه هو المقصود بمعنى الكلام الموجه إليه في تلك اللحظة وفي ذلك المكان**. كما أن التنبيه كغرض للنداء هو **أول غرض يقصده الإنسان الذي بدأ بتصويت اللغة للتواصل مع غيره** لينبهه بمباشرة عملية التخاطب.

1-2- اللغة اصطلاح وتواطؤ اجتماعي أساسه المعرفة اللغوية المشتركة بين المتكلم والمخاطب:

يقول الفارابي في وصف مرحلة الوضع الأول للغة "...فيتفق أن يستعمل الواحد منهم تصويتا أو لفظة في الدلالة على شيء ما عندما يخاطب غيره فيحفظ السامع ذلك، فيستعمل السامع ذلك بعينه عندما يخاطب المنشئ الأول لتلك اللفظة، ويكون السامع الأول قد احتذى

[1]- سيبويه : الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، 1988. ج2، ص208.

[2]- أبويعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية ط2، بيروت- لبنان، 1987. ص 165.

[3]- الفاربي: الحروف...ص 163.

ذلك فيقع به، فيكونان قد اصطلحا وتواطئا على تلك اللفظة فيخاطبان بها غيرهما إلى أن تشيع عند الجماعة"[1].

لقد توفر هذا النص التراثي الفلسفي على مبدإ مركزي في الدراسات الفلسفية واللغوية القديمة، وهو مبدأ الاصطلاح والتواضع الذي تبناه الفارابي وبنى على أساسه الكثير من التصورات فيما يتعلق بأصل اللغة ومراحل نشأتها. كما تضمن نص الفارابي مبدأ مهما جدا في البحث اللساني التداولي الحديث، وهو مبدأ "المعرفة المشتركة بين المتخاطبَيْن للوضع اللغوي" أو ما يصطلح عليه عند علماء العرب القدامى بـ"علم المخاطب" ويقصدون به "معرفة المتكلم والمخاطب المشتركة لأشياء كثيرة تخص العالم وتجربتهما. وهو ما اكتسباه من المعلومات بالتجربة طيلة العمر وما عاشاه في حياتهما وما استخلصاه من هذا مما يدخل في المنطق الطبيعي وبصفة خاصة ما له علاقة بموضوع الخطاب، وكذلك معرفتهما لوضع اللغة، فهذا يدخل كله في تسميتهم بعلم المخاطب"[2]، وقياسا على هذا التعريف نجد أن الفكرة الأساسية في نص الفارابي تدخل في مفهوم "علم المخاطب".

1-3- القصد التواصلي في اللغة:

ربط الفارابي نشأة اللغة بحاجة الإنسان إلى التعبير عما في ضميره من مقاصد؛ حيث يقول "إذا احتاج [المتكلم] أن **يعرِّف** غيره ما في **ضميره** أو **مقصوده** بضميره استعمل **الإشارة** أولا **في الدلالة** على ما كان **يريد** ممن يلتمس **تفهيمه** إذا كان من يلتمس تفهيمه بحيث **يبصر إشارته**"[3].

أشار هذا النص إشارة صريحة إلى فكرة تطور وسائل التواصل لدى الإنسان؛ حيث انتقل بنظام التواصل من اعتماده على حاسة البصر (الإشارة البصرية) ارسالا واستقبالا إلى حاسة النطق والتصويت ارسالا، وحاسة الاستماع والتلقي استقبالا. ثم أشار الفارابي إلى فكرة مهمة

[1]- الفارابي: الحروف...ص137.

[2]- الحاج صالح: الخطاب والتخاطب...ص228.

[3]- الفارابي: الحروف...ص 131.

جدا في الدرس التداولي المعاصر، وهي أن الإنسان اضطر إلى اختراع اللغة (الإشارية أولا ثم التصويتية) من أجل إفهام غيره القصد الموجود في ضميره؛ أي " إذا احتاج أن **يعرِّف** غيره ما في **ضميره** أو **مقصوده**" ويُصطلح على مفهوم هذه الفكرة في التداولية الحديثة بـــ "**القصد في التواصل**" أو "**القصد التواصلي**"، ويعرف الفيلسوف اللغوي جون سيرل «John Searle»هذا المفهوم في قوله: "قصد الاتصال هو القصد الذي يتعرَّف فيه المستمع إلى معناي، أي إنه يفهمني"[1]. ويوضح أكثر فيقول "إننا حين نتصل بالناس، فنحن نفلح في توليد فهم لديهم بجعلهم يتعرفون على قصدنا في توليد ذلك الفهم"[2]، ويبدو أن هذا المعنى التداولي الذي توصل إليه فلاسفة اللغة المعاصرين في سياق تفسيرهم للغرض من العملية التواصلية لدى البشر، هو تحديدا المعنى الذي قصده الفارابي من قوله " أن **يعرِّف** غيرَه **ما في ضميره** أو **مقصوده**... على ما كان **يريد** ممن يلتمس **تفهيمه** "[3].

1-4- تعبير اللغة بالمتناهي عن غير المتناهي:

أشار الفارابي في كتابه "الحروف" إلى فكرة لسانية مهمة جدا، تُعرف في الفكر اللساني الحديث بـ"**إبداعية اللغة الإنسانية**"؛ التي قوامها قدرة اللغة على التعبير بالمتناهي من الحروف عن غير المتناهي من الجمل والمحسوسات والمجردات. يقول الفارابي "ولأن هذه **الحروف** إذا جعلوها **علامات** أولا كانت **محدودة العدد**، لم تف بالدلالة على جميع ما يتفق أن يكون في ضمائرهم، فيضطرون إلى **تركيب بعضها إلى بعض بموالاة حرف حرف** فتحصل في **ألفاظ من حرفين أو حروف، فيستعملونها علامات أيضا لأشياء أخر**"[4].

إن فكرة تركيب الحروف المحدودة العدد بعضها مع بعض لتؤلف عددا هائلا من الكلمات وعددا لا متناهيا من الجمل، هي صفة من صفات إبداعية اللغة الإنسانية. وقدرة اللغة على الإبداع أن تستطيع أن تُخرج من الحروف المحدودة ملفوظات غير محدودة. وقد اختزل

---

[1]- جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي...213.

[2]- جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع... 212.

[3]- الفارابي: الحروف...ص131.

[4]- الفارابي: الحروف...ص137.

فون هومبولت هذه الخاصية في قوله "الاستعمال اللامحدود لوسائل محدودة"[1]؛ ويؤكد تشومسكي هذه الخاصية في قوله: "تقوم اللغة البشرية على خاصية أولية تبدو أيضا معزولة بيولوجيا؛ إنها خاصية اللامحدودية [اللانهائية] infinity المتفردة"[2].

وبفضل هذه الخاصية يصبح للإنسان القدرة على التعبير باللغة عن المحسوسات والمعقولات (المفاهيم المجردة). وبذلك يتسع لديه الأفق الإدراكي، مما يسمح له بالخوض، مع أقرانه عن طريق التخاطب، في شتى موضوعات الحياة.

1-5- الثلاثية السيميائية (العلامة، الضمير، المحسوس):

التصويتات أو الألفاظ **علامات صوتية** يعبر بها **الإنسان** عما في **الفكر** وعما في **الواقع**، ويصفها الفارابي بأنها "**علامات يدل** بها **بعضهم** بعضا على ما في **ضميره** مما كان **يشير** إليه وإلى **محسوسه** أولا"[3]، ربط الفارابي في هذا القول الصوت أو العلامة كدليل لغوي (بديل عن الإشارة باليد أو بشيء)، بالضمير أو بالذهن من جهة، وبالواقع أو المحسوس من جهة أخرى. ومنحها الطابع التداولي الاستعمالي من خلال ربطها بدلالتها على ما في الذهن والواقع **واستعمال الناس** لها باعتبارها دوالا لها مدلولات معينة.

ومن حيث ربط العلامة اللغوية بالذهن والواقع، يكون الفارابي قد انتهج سبيل الفلسفة اليونانية في التنظير لهذا التصور، الذي يسمى في الفلسفة الأرسطية بـ"نظرية الدلالة الثلاثية الأرسطية" أو الثلاثية السيميائية «la triade sémiotique»، التي تأتي في صيغة: لفظ/صورة ذهنية/خارج الذهن[4].

إنّ المتتبع لنصوص الفارابي في كتابه الحروف يستشعر انشغاله بالإشكالية البيانية المتمثلة تحديدا في إشكالية العلاقة بين اللفظ والمعنى والواقع؛ حيث أراد أن يتدارك ما فات

---

[1]- تشومسكي: ص38.

[2]- نفسه...ص 34.

[3]- الفارابي: نفسه...ص137.

[4]- الحاج صالح: الخطاب والتخاطب...ص182.

أستاذه متى بن يونس في مناظرته مع السيرافي، فحاول إعادة ترتيب العلاقة بين اللفظ والمعنى على أساس برهاني، كي يؤكد –استنادا إلى كيفية حدوث الحروف والألفاظ والكلام عند الأمم- أن الأسبقية هي دائما للمعنى على اللفظ، وذلك خلافا لما ذهب إليه اللغويون والنحويون من القول بأسبقية اللفظ على المعنى. ولقد انطلق الفارابي من ملاحظة أن هناك دوما أسبقية زمنية للمشار إليه على الإشارة والمشار به؛ أسبقية للمعطى الحسي على صورته الذهنية، وأسبقية الصورة الذهنية أو المعنى على الإشارة المعبرة عن هذا المعنى[1].

ويتضح ذلك من خلال المخطط التصاعدي المنحى التالي:

مخطط رقم 01.

وإذا اعتبرنا أنّ نظام اللغة إن هو إلا محاكاة لنظام المعاني في الذهن، ونظام المعاني إن هو إلا محاكاة لنظام الأشياء في الطبيعة[2] فإننا سنحصل على مخطط تنازلي المنحى عكس المخطط الأول، ويكون على الشكل التالي:

مخطط رقم 02.

وبهذا لم يعد المقصود في تصور الفارابي اللفظ بحد ذاته، إنما المقصود هو المعنى المطابق للحد أو التصور أو البرهان الفلسفي، وقد قلب هذا الموقف –حسب الدكتور جيهامي-

[1]- الجابري: بنية العقل العربي...ص221.

[2]- نفسه ص225.

نظام العلاقة بين اللفظ والمعنى المعتمد لدى النحويين العرب، فأمسى المعنى متصدرا المقام الأول يتحكم في طبيعة اللفظ دون انفصال عنه وفقا للتدرج التالي[1]:

المعنى (فكرة أو رسم) ـــــــــــ اللفظ (اسم أو عبارة) ـــــــــــ المحسوس (شيء أو كائن)

مخطط رقم 03.

-6-1 **مرونة اللغة وإمكانية الانتقال من التعبير بالدلالات الوضعية إلى الدلالات المجازية**: يقول الفارابي بهذا الصدد "فإذا استقرت الألفاظ على المعاني التي جُعلت علامات لها، فصار واحد لواحد وكثير لواحد أو واحد لكثير...صار الناس بعد ذلك إلى النسخ والتجوز في العبارة بالألفاظ، فعُبّر بالمعنى بغير اسمه الذي جُعل له أولا ... فيحدث حينئذ الاستعارات والمجازات... والتوسع في العبارة بتكثير الألفاظ وتبديل بعضها ببعض وترتيبها وتحسينها، فيبتدئ حين ذلك في أن تحدث الخطبية أولا ثم الشعرية قليلا قليلا"[2].

تؤدي اللغة المخترعة في أول وضعها وظيفة نفعية تداولية هي الوظيفة الإخبارية التواصلية التي قوامها التعبير عن الأغراض الضرورية لتلبية حاجات حياتية ملحة، تؤدى بلغة دلالية منطقية جامدة، يعبر فيها الدال الواحد عن مدلول واحد. ثم تشحن هذه اللغة بطاقات ايحائية من خلال كسر منطقية العلاقة بين الدال والمدلول "**واحد لواحد**" ومنح الدال محمولات دلالية مغايرة[3]؛ حيث تنتج ظاهرة الترادف اللغوي "**كثير لواحد**" التي تعبر فيها الكثير من الدوال عن مدلول واحد يجمع جملة السمات الدلالية التي تشترك فيها الدوال المعبرة عنه، كما تنتج أيضا ظاهرة الاشتراك اللفظي "**واحد لكثير**" التي هي بخلاف ظاهرة الترادف؛ حيث يعبر الدال

[1]- جيرار جهامي: الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية...ص100و101.

[2]- الفارابي: نفسه...ص141.

[3]-جلال الحمادي: البحث الدلالي عند الفلاسفة المسلمين في ضوء اللسانيات، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى وحدة اللغة العربية بمركز اللغات بجامعة تعز- اليمن، 2010. ص44.

الواحد عن مدلولات كثيرة يحددها السياق والقرائن التي ترفع عنها اللَّبس الدلالي حال التكلم. ثم يصير الناس إلى اعتماد أساليب تخاطبية أكثر ليونة، تبتعد شيئا فشيئا عن دلالة الأوضاع اللغوية الأولى من خلال اللجوء إلى الاتساع الدلالي والمجاز والصور البيانية وغيرها من الأساليب البلاغية، وهي ما عبر عنها الفارابي بمصطلحات النسخ، والتجوز في العبارة بالألفاظ، والاستعارات، والمجازات، والتوسع في العبارة.

إن هذه المصطلحات التي وظفها الفارابي في نصه تنتمي مفاهيمها إلى المجال البياني من اللغة، الذي يحتكم إلى منطق الاستعمال، وليس إلى منطق الوضع الأول؛ حيث يوظف المتخاطبون تعابير يختلف فيها معنى الجملة بنويا من حيث الوضع عن المعنى الاستعمالي الذي يقصده المتكلم[1].

1-7- الخطابة أصل الصنائع اللسانية والأدبية:

يرى الفارابي أن احتياج القوم للتعبير عن المعاني المعقولة أداهم إلى قول خُطب أو أجزاء خُطب، وقد أدتهم هذه الخطب إلى إنشاء صناعة الخطابة. وفي الخطابة تحدث المعاني الشعرية التي تنمو شيئا فشيئا إلى أن يحدث الشعر فتحصل بعد ذلك صناعة الشعر[2]، وبفضل ما تتضمنه الخطب والأشعار من أخبار الحاضر وروايات وأحداث الماضي، يظهر رواة الخطب ورواة الأشعار وحفاظ الأخبار[3]. وبسبب كثرة الأخبار والأحداث والخطباء والشعراء كثرت مع مرور الزمن كمية الخطب والشعر، فأصبح من العسير على الرواة حفظها كلها، فلجأ القوم إلى تدوينها وتقييدها بالكتابة حرصا على حفظها للأجيال التالية وعدم نسيانها أو زوالها. وبعد الكتابة نشأت صناعة علم اللسان، ليجعل القوم بفضلها "لسانهم ولغتهم بصورة صناعة يمكن أن تُتعلم وتُعلم بقول، وحتى يمكن أن تعطى علل كل ما يقولون"[4]

---

[1]- للتوسع في هذه الفكرة أنظر، جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع... ص 221.

[2]- الفارابي: نفسه ص 142.

[3]- نفسه 143.

[4]- نفسه ص 148.

وبالمجمل تحصل عند القوم خمس صنائع مرتبطة بالاستعمالات اللغوية هي: "صناعة الخطابة، وصناعة الشعر والقوة على حفظ أخبارهم وأشعارهم وروايتها، وصناعة علم لسانهم، وصناعة الكتابة"[1]. ويسمي الفارابي هذه الصنائع اللغوية بـ"الصنائع العملية أو الصنائع العامية" لأن المهتمين بها يكونون من غير الفلاسفة؛ أي من عامة الجمهور، أما الخواص –بالتعبير الفلسفي–فهم الفلاسفة أنفسهم. وأي إنسان يهتم بهذه الصنائع يعد من عامة الجمهور ولو كان رئيسا أو ملكا. يقول الفارابي بهذا الصدد "...فهذه صناعة أخرى من صنائع الجمهور وهي أيضا صناعة عامية، إلا أن أصحابها والمعتنين بها يجعلون أنفسهم من الخواص. فإذن ملوك الجمهور هم أيضا من الجمهور"[2].

1-8- بين اللغة الأدبية واللغة الفلسفية:

يفرق الفارابي بين اللغة الأدبية واللغة الفلسفية، من حيث إن اللغة الأدبية؛ لغة الخطابة والشعر، تقوم في أغلبها –زيادة على الدلالة الوضعية–على توظيف الدلالات الثواني أو المجازية للألفاظ، في حين أن اللغة الفلسفية تقوم على توظيف الدلالات الأولى أو الوضعية للألفاظ. يقول الفارابي: "والخطابة والشعر فإن الألفاظ تُستعمل فيهما بالنوعين جميعا. وأما الفلسفة والجدل والسوفسطائية فلا تُستعمل فيها إلا على المعاني الأولى التي لأجلها وُضعت أولا"[3]. وبهذا التمييز يكون الفارابي قريبا مما يُعرف اليوم في الفلسفة التحليلية الحديثة بتيار الوضعانية المنطقية الداعية إلى تبني لغة فلسفية تكون للمنطق والعلم أقرب منها إلى اللغة العادية أو اللغة الأدبية.

[1]- نفسه ص نفسها.

[2]- الفارابي:...ص 150.

[3]- الفارابي: الحروف ...ص164.

- **المحاضرة السابعة:**

فلسفة اللغة عند علماء الغرب (01):

تعرض هذه المداخلة، باختصار، لأهم فلاسفة الغرب الذين اهتموا بالتنظير لفلسفة اللغة كتخصص معرفي يدرس مجموعة من الظواهر اللغوية التي تتقاطع فيها الفلسفة مع اللسانيات، وقد وقع اختيارنا على ثلاثة فلاسفة من بلدان أرويبة مختلفة:

- الفيلسوف هوين فرونسكي من بولندا.
- الفيلسوف بندتو كروتشي من إيطاليا.
- الفيلسوف ألبرت دوزا من فرنسا.

1- فلسفة اللغة عند هوين فرونسكي:

مر بنا في المحاضرة الأولى أن فرونسكي هو أول فيلسوف-على حد علمنا-وضع مصطلح فلسفة اللغة، وليس غريبا أن يفعل ذلك. فقد عُرف عنه وضع الكثير من المصطلحات التي أُدخلت في الاستعمال اللغوي الفرنسي؛ حيث ورد في موسوعة 'تاريخ الفلسفة' لـ "إميل برهييه"، أنه أول من أدخل للمعجم الفرنسي كلمة «MESSIANNISME»، التي تعني بالعربية المسيحانية، نسبة إلى المسيح المنتظر.[1]

وتعد فلسفة اللغة بالنسبة لفرونسكي، واحدة من المعارف الكثيرة التي اشتغل عليها طيلة حياته البحثية، التي تأتي على رأسها الرياضيات وفلسفة الدين وفلسفة التاريخ...إلخ.

وقد صاغ فرونسكي بنفسه، أو نقل عن غيره، في مقالته "فلسفة اللغة" الكثير من المصطلحات اللغوية، التي يعدأغلبها حاليا، أسماء لفروع لسانية قائمة برأسها في علوم اللسان الحديثة، نذكر أبرزها[2]:

---

[1]- انظر إميل برهييه: تاريخ الفلسفة، ج6. ترجمة جورج طرابيشي، (بيروت-لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر. 1983)، ص 301، هامش

[2]- انظر هوين فرونسكي...المرجع السابق ص 34 وما بعدها.

- GLOSSOLOGIE الذي ذكره كمصطلح مرادف لـ PHILOSOPHIE DU LANGAGE.
- SÉMIOTIQUE (السيميائيات)*ويحدد موضوعها بأنه العلامات « signes » عموما.
- LEXICOLOGIE (المعجمية) وموضوعها عند فرونسكي هو الدلالة « signification».
- HÉRMENEUTIQUE (الهرمنيوتيقا أو التأويلية) وموضوعها تأويل العلامات"interprétation des signes".
- SYNTAXE(علم التراكيب) +RHÉTORIQUE (البلاغة أو الخطابة) + PARTIES DU DISCOURS (أجزاء الخطاب) +LES GENRES DU DISCOURS (أنواع الخطاب) + DIDACTIQUE (التعليمية)...وغيرها من المصطلحات التي أصبحت من المواد الأساسية في معاجم اللسانيات وتحليل الخطاب وتعليمية اللغات.

2- فلسفة اللغة عند بندتو كروتشي:

إن طبيعة النزعة الفلسفية لدى بندتوكروتشي هي النزعة المثالية (Idéalisme)، التي جاءت كرد فعل على النزعة الوضعية الطبيعية في الفلسفة الناشئة عن تأثر علوم الإنسان بعلوم الطبيعة، التي سادت حتى بداية القرن العشرين. ولأن اللغويين تأثروا بهذه النزعة الفلسفية ونظروا إلى اللغة كظاهرة طبيعية ليس لها علاقة بالمتكلمين، فقد هاجمهم كروتشي هجوما عنيفا، وحاول جراء ذلك أن يبني نظرية جديدة في اللغة، تنطلق من جعل الاعتبارات الجمالية والتصورات اللغوية شيئا واحدا؛ لأن المهم عنده هو التعبير، أي إظهار الخوالج النفسية بالكلام. ولهذا ينبغي أن تفسر الظواهر اللغوية وتطورها انطلاقا من الفرد المتكلم

*- وعن هذا المصطلح يقول جاكبسون: "بوسع المرء أن يجد صدى لفكرة لوك، وتسميته (Sémiotique) في فلسفة اللغة Philosophy of language للبولندي هوين فرونسكي". رومان جاكبسون: الاتجاهات الأساسية في علم اللغة. ترجمة علي صالح وحسن ناظم، (الدار البيضاء-المغرب. المركز الثقافي العربي. 2002). ص 47 و48. أي إن هوين فرونسكي أخذ مصطلح السيمانتيك عن الفيلسوف جون لوك باعتباره هو أول من وضع المعالم الكبرى للسيميائيات، التي أخذها عنه فيما بعد الفيلسوف الأمريكي شارلز سندرس بيرس.

نفسه، أي باعتبار شخصيته وذهنيته، وليس من خلال الكلام كظاهرة فيزيائية منعزلة عن منتجها[1].

وأهم شيء بسطه كروتشي في هذا الكتاب، هو فكرة أن اللغة انعكاس لخصائص الشعب الناطق بها، وبالتالي فهي ليست ظاهرة طبيعية تؤثر فيها الأحداث المادية، وإنما هي فعل فكري إبداعي لها علاقة بالشعور والعاطفة[2].

ومن هنا يتضح أن طرح كروتشي لنظرية اللغة يتمحور حول الطبيعة الجمالية لها. وعليه فإن المقصود عنده بمصطلح فلسفة اللغة هو المجال الفني أو الجمالي، حيث يتم دراسة اللغة دراسة جمالية، وحيث يكون الشعر هو الشكل الأمثل للتعبير[3].

وقد خصص كروتشي لشرح هذه النظرية اللغوية فصلا كاملا عنونه بـ "فلسفة اللغة" وأدرجه في القسم الثاني المعنون بـ "تاريخ الجماليات" ضمن كتابه "الجماليات". ومن أبرز المباحث اللغوية التي تناولها في هذا الفصل نذكر[4]:

-مسألة التطور اللغوي.

-اللغة والفن عند الفيلسوف هومبولدت.

-تحديد مشاكل أصل اللغة وطبيعتها.

-البحث في العلاقة بين اللسانيات والجماليات.

---

[1]- انظر الحاج صالح عبد الرحمن: بحوث ودراسات في علوم اللسان، (الجزائر، موفم للنشر، 2007). ص142.

[2]- نفسه ص 143.

[3]- انظر الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة. (بيروت-لبنان، دار الطليعة، 2005). ص 196.

[4] -BENEDETTO CROCE: ESTITICA COME SCIENZA DELL ESPRESSIONE E LINGUISTICA GENERALE. TEORIA E STORIA. GIUS. LATERZA & FIGLI. 1908, p XX

3- فلسفة اللغة عند ألبرت دوزا:

عالج ألبرت دوزا عبر صفحات كتابه « LA PHILOSOPHIE DU LANGAGE » جملة من المواضيع ذات الصلة المباشرة بالظاهرة اللغوية؛ أهمها[1]:

-الظواهر اللغوية وتأويلها.

-الخصائص العامة للغة.

-تنوع اللغة وقضية اللسان الدولي.

-تجدد اللغة.

-تطورات اللغة.

-تاريخ الأفكار: النحو القديم والخطوات الأولى للعلم.

-النحاة الجدد.

وتعد هذه المواضيع التي طرقها دوزا قبل صدور كتاب دوسوسير*، من أهم المسائل اللغوية التي تناولتها كتب اللسانيات منذ سوسير إلى يومنا هذا. غير أن ما يميز أسلوب دوزا في الكتابة، مقارنة باللسانيات المعاصرة، هو الطابع الفلسفي الظاهر في تحليلاته اللغوية.

3-1- بعض أقواله:

"للغة مظهران: الأصوات والمعاني. والكلام هو مجموعة من العلامات الصوتية التي تهدف إلى التعبير، ونقل الأفكار بين الأشخاص"[2].

"من الصعوبة بمكان عزل علم اللغة «la science du langage» عن مجموع معارفنا، فهي على العكس من ذلك مرتبطة بمختلف العلوم التي تنشئ معها علاقات وطيدة، فهي تطلب من الفيزياء

---

[1] ALBERT DAUZAT : LA PHILOSOPHIE DU LANGAGE, ERNEST FLAMMARION, EDTEUR. PARIS- France. 1917.

* - صدرت الطبعة الأولى لكتاب ألبرت دوزا سنة 1912.

[2] - Ibid..p 02.

(الأكوستيكية) تحليل الأصوات، وتطلب من علم التشريح وفيزيولوجيا الإنسان بنية أعضاء الكلام ووظيفتها، وتطلب من علم النفس ...تزويده بقوانين ترابط الأفكار، وتطلب من علم الاجتماع الخصائص الاجتماعية للغة والشروط المؤدية إلى تطورها..."[1].

3-2- حدَّد خصائص اللغة في النقاط التالية[2]:

-"اللغة فعل إجتماعي...اللغة مجموعة من الأصوات المنطوقة (أو المتمفصلة) articulés".

-"اللغة هي أداة التفكير. تهدف إلى ترجمة الأفكار بالكلمات، والأحكام والقضايا المنطقية بالجمل".

-"اللغة عبارة عن نظام من العلامات système de signes".

-"تشكل اللغة وتطورها يرتبط ارتباطا وثيقا بتشكل وتطور التفكير البشري".

[1] -ibid...p03.

[2] - ibid...pp 09-10.

- **المحاضرة الثامنة:**

فلسفة اللغة عند المعاصرين(01)، الفلسفة التحليلية:

1- الفلسفة التحليلية، النشأة والمفهوم:

1-1- النشأة:

نشأت الفلسفة التحليلية بمفهومها العلمي الصارم في العقد الثاني من القرن العشرين على يد الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجه (1848- 1925) بكتابه "أسس علم الحساب"، وكانت دروسه في الجامعة الألمانية موردا لطلاب الفلسفة والمنطق من مختلف البلدان الأوروبية[1].

ويُرجع الفلاسفة ظهور الفلسفة التحليلية أول الأمر بظهور مسلك جديد في التفكير الفلسفي عرف بمصطلح التحول أو المنعطف اللغوي، الذي ظهر بصدور كتاب فريجه سالف الذكر، يقول مايكل دميت في كتابه "أصول الفلسفة التحليلية": "إذا كانت الفلسفة التحليلية قد ولدت عندما حدث التحول اللغوي، فإن ولادتها لابد من أن تؤرخ بنشر كتاب فريجه أسس الحساب عام 1884، وذلك عندما قرر فريجه أن الطريق إلى بحث طبيعة العدد هو تحليل الجمل التي تظهر فيها الأعداد"[2].

كما يوجد من الفلاسفة من ينسب المنعطف اللغوي في الفلسفة إلى لودفيغ فتجنشتاين[3]، حينما قرر في كتابه رسالة منطقية فلسفية عام 1921 في عبارته المشهورة رقم (4,0031) "إن الفلسفة كلها عبارة عن "نقد للغة""[4]

---

[1]- مسعود صحراوي: التدالية عند العلماء العرب...ص 27.

[2]- انظر صلاح إسماعيل: فلسفة اللغة...ص 15.

[3]- نفسه...ص ن.

[4]-لودفيغ فيتجنشتاين: رسالة منطقية فلسفية، ص 83.

وبالإضافة إلى ما قدمه كل من فريجه وفتجنشتاين، فقد مثلت اسهامات راسل وفلاسفة الوضعية المنطقية وفلاسفة مدرسة أكسفورد المداخل الفلسفية إلى اللغة، وهي التي شكلت الفرع الفلسفي المعروف الآن باسم فلسفة اللغة أو الفلسفة التحليلية [1].

وتوصف الفلسفة التحليلية بأنها ثورة فلسفية بدأت في كمبردج بإنجلترا وكان برتراند راسل وجورج مور ولودفيغ فتجشتاين قادة هذه الثورة؛ لأنها جاءت دحضا للمثالية الهيجلية التي سادت التفكير الإنجليزي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبلغت ذروتها في أواخر ذلك القرن وأوائل القرن العشرين على يد بعض فلاسفة أكسفورد وخاصة برادلي (1846-1924)، فلم يكن مما يتفق وطبائع الأمور أن يظهر في إنجلترا –معقل الفكر التجريبي- فيلسوف (مثل برادلي) متأثرا بهيجل وفلسفته المثالية على حساب الفلسفة التجريبية التي تمثل الفكر الأصيل على مر قرون من الزمن لدى الفلاسفة الانجليز. وهكذا ظهرت التحليلية كثورة فلسفية لتعيد التفكير الإنجليزي إلى الاتجاه التجريبي، ولتقضي على الفلسفة المثالية، فنشر جورج مور مقالا في "تفنيد المثالية" ونشر راسل بحثه في "طبيعة الصدق" ثم "مشكلات الفلسفة" وتبعه بكتاب "معرفتنا بالعالم الخارجي"[2].

وبالإضافة إلى ما تقدم، فإن الفلسفة التحليلية لم تكن مجرد ردة فعل على الهيجلية فحسب، بل كانت ثورة في طبيعة الفلسفة ذاتها. ومنهج التحليل هو أساس هذه الثورة حيث تكمن أصالته في وضع طبيعة الفلسفة ذاتها موضع التساؤل، لذا فهي أساسا فلسفة على الفلسفة[3].

1-2- مفهوم الفلسفة التحليلية من حيث الموضوع والإجراء:

يقر معظم الباحثين في فلسفة اللغة على صعوبة إيجاد تعريف دقيق للفلسفة التحليلية، لأن ما يطلق عليهم "فلاسفة التحليل" لا يمثلون في الواقع نمطا واحدا من الفلاسفة، بل ليس

[1]- صلاح إسماعيل: فلسفة اللغة...ص 15.

[2]- محمد رشوان: فلسفة اللغة...ص 23 و24.

[3]- نفسه...ص 25

هناك اتفاق عام حتى على الاسم الذي يميز تلك الحركة الفلسفية، ومع ذلك فإن جميع فلاسفة هذه الحركة متفقون على أن اللغة هي الموضوع الذي يشتغلون على دراسته، وأن التحليل هو الهدف الرئيسي من الفلسفة[1]. فما مفهوم التحليل في هذه الفلسفة؟ وما نوع اللغة التي يسعى الفلاسفة إلى تحليلها؟

2- أهمية اللغة كموضوع للفلسفة التحليلية:

تعد اللغة في الفلسفة التحليلية هي موضوع الدراسة؛ باعتبارها أولى الأولويات في أي مشروع فلسفي حديث يتوخى فهم الكون ومشكلاته فهما صحيحا[2].

ولا ينظر الفلاسفة التحليليون إلى اللغة على أنها مجرد وسيلة، بل على أنها أيضا هدف من أهداف البحث الفلسفي، ويعد هذا الأمر بعدا جديدا يميز الفلسفة التحليلية وينظر إليه على أنه خاصية من خصائصها الرئيسية. وإن الاهتمام الكبير باللغة من جانب بعض الفلاسفة التحليليين من أمثال مور وفتجنشتاين وفلاسفة أكسفورد دفع بعض الباحثين إلى تعريف الفلسفة التحليلية على أنها مجرد دراسة للغة، وعلى أن الفيلسوف التحليلي هو الفيلسوف الذي يعطي أولوية كبيرة لدراسة اللغة، غير أنه يدرسها لا من أجل صياغة فروض علمية عنها كما يفعل علماء اللسانيات، بل لأنه يعتقد أن دراسته للغة هي بمثابة أداة لها قيمتها في مساعدته على تحقيق هدفه الأساسي في حسم المسائل الفلسفية[3].

2-1- نوع اللغة التي يدرسها الفلاسفة:

على الرغم من أن الفلاسفة التحليليين متفقون على أهمية دراسة اللغة، إلا أنهم مختلفون في نوع اللغة التي ينبغي دراستها، وانقسموا في ذلك بوجه عام إلى فريقين:

---

[1]- محمد رشوان:... نفسه ص 14

[2]- مسعود صحراوي: نفسه...ص 27

[3]- محمد رشوان: نفسه...ص 17

1- الفريق الأول: ذهب الفريق الأول إلى القول بأن التحليل الفلسفي يتوقف على تأليف لغة اصطناعية جديدة؛ مفترضا أن قواعد اللغات الاصطناعية أوضح وأكثر تحديدا من القواعد التي تحكم استخدام اللغة العادية، كما هو واضح في مجال العلم. ومن ثم يرى هذا الفريق أن الفلسفة لا بد لها أن تطور مفردات خاصة وتصطنع مفاهيم خاصة لحل مشكلاتها. ومن أبرز فلاسفة هذا الفريق غوتلوب فريجه وبرتراند راسل وجورج إدوارد مور ولودفيغ فتجنشتاين في مرحلته الأولى.

2- الفريق الثاني: وقف الفريق الثاني موقف المعارضة من الفريق الأول، ورأى أن مثل هذه اللغات الاصطناعية لا تساعد كثيرا على حل المشكلات الفلسفية، إذ إن هذه المشكلات يمكن معالجتها على أفضل وجه بالتحليل الدقيق للغة الطبيعية العادية التي نتواصل بها في حياتنا اليومية. ومن أبرز فلاسفة هذا الفريق فتجنشتاين في مرحلته الأخيرة، وجون أستين وبول غرايس وجون سيرل.

هذا، ومهما يكن من أمر اختلاف الفلاسفة على نوع اللغة التي يدرسونها فإنهم يسلمون بأهمية اللغة ووجوب دراستها سواء أكانت اصطناعية أم طبيعية[1].

3- مفهوم التحليل في الفلسفة التحليلية:

يوظف التحليل من حيث هو مصطلح فلسفي بالمعنى نفسه لكلمة تحليل في اللغة العادية؛ أي تفتيت أو فك المركب إلى أجزائه التي يتكون منها، ويستعمل التحليل عادة في مقابل التركيب. ويختلف التحليل تبعا لطبيعة الموضوع أو المركب الذي نحلله، فقد يكون ما ديا إذا كان المركب الذي نحللة ماديا مثل التحليل الكيميائي، وقد يكون عقليا مثل تعريفنا أو تحليلنا لفكرة أو مفهوم عقلي معين، والتحليل كمنهج لا يقتصر على الفلسفة وحدها، بل نجده

[1]- محمد رشوان: نفسه...ص 18

متمثلا في أكثر من مجال فكري؛ كالتحليل الرياضي والتحليل النفسي والتحليل الأدبي والتحليل اللغوي والتحليل الفلسفي...[1]

وللتحليل في الفلسفة وظائف كثيرة، أهمها[2]:

- تحليل المفاهيم والأفكار بغية اكتشاف المبدأ الكامن وراءها، كما هو الحال عند سقراط وأفلاطون وأرسطو.
- تحليل الفكر والمعرفة إلى عناصرها الحسية الأولية، كما فعل الفلاسفة التجريبيون أمثال جون لوك وباركلي وهيوم.
- تحليل اللغة دلالة وتركيبا، كما هو الحال عند فلاسفة التحليل المعاصرين، كما هو الحال عند مور وراسل وفتجنشتين وغيرهم من فلاسفة الوضعية المنطقية وفلاسفة كمبردج وفلاسفة أكسفورد.

إلا أن التحليل بوصفه طريقة في التفلسف –أو من حيث هو منهج فلسفي–ليس جديدا، ولم يظهر بظهور الفلسفة التحليلية، بل يمكن أن نعود بجذور التحليل الفلسفي إلى زمان فلاسفة اليونان من أمثال أفلاطون وأرسطو وبعض فلاسفة العصور الوسطى وكثير من الفلاسفة المحدثين من أمثال جون لوك وبيركلي وهيوم وكانط، فلا شك أن فلاسفة التحليل قد استوعبوا هذا التراث الفلسفي وكان له تأثيره على اتجاهاتهم. ويرى راسل أن مصدر حركة التحليل نابعة من منجزات علماء الرياضيات من أمثال فريجه وغيره، الذين طهروا الرياضيات من المغالطات والتفكير المتسرع[3].

وبناء على ما سلف، يمكن اجمال مفهوم وخصائص الفلسفة التحليلية في النقاط التالية[4]:

- ضرورة التخلص من أسلوب البحث الفلسفي القديم وخصوصا في جانبه الميتافيزيقي.

---

[1]- عزمي إسلام: لدفيج فتجنشتاين...ص 59 و60.

[2]- صلاح إسماعيل: التحليل اللغوي... ص6

[3]- محمد رشوان: نفسه....ص 25 و26.

[4]- صحرواوي: نفسه...ص 31.

- تغيير بؤرة الهتمام الفلسفي من موضوع نظرية المعرفة إلى التحليل اللغوي.
- تجديد وتعميق بعض المباحث اللغوية، ولاسيما مبحث الدلالة والظواهر اللغوية المتفرعة عنها.

- **المحاضرة التاسعة:**

فلسفة اللغة عند المعاصرين (02): اتجاهات الفلسفة التحليلية.

يتفق أغلبية الباحثين على أن اتجاهات الفلسفة التحليلية تتمثل في ثلاثة اتجاهات[1]؛ الظاهرتية اللغوية بزعامة هوسرل، والوضعية المنطقية ويمثلها مجموعة من الفلاسفة ينتمي معظمهم إلى جامعة كمبريدج، وفلسفة اللغة العادية وينتمي أعضاؤها إلى جامعة أكسفورد*، وفيما يلي نقدم عرضا موجزا عن كل اتجاه، مركزين على تبيان أهم المبادئ:

1- الظاهرتية اللغوية Phénoménologie du language:

1-1- الظاهرتية أو الفينومنولوجيا:

يجمع الباحثون على أن أول من استعمل لفظة فينومنولوجيا هو لامبرت سنة 1764 ثم كانط وبعده هيجل، وغيره من الفلاسفة. لكن أول من استعمل هذه اللفظة للدلالة على منهج فكري واضح المعالم هو الفيلسوف "إدموند هوسرل" (1859-1938) الذي درس الرياضيات والفلسفة في ألمانيا وفيينا، وبفضل رؤيته الجديدة للفلسفة التف حوله نخبة من مفكري عصره، مستلهمين رؤيته المنهجية في اتجاهات فكرية واهتمامات فلسفية متنوعة. وكان من بين الذين تلقفوا منهج هوسرل الفينومنولوجي الفلاسفة الوجوديون؛ الذين جعلوا من الوجود (الإنساني) موضوع تأملاتهم المنهجية. ومن الفكر الوجودي عبرت منهجية هوسرل إلى العلوم الإنسانية، خصوصا في القارة الأوروبية. ولعل أكثر الميادين تأثرا وإفادة من المنهج الجديد قطاع الطب النفسي والعقلي، وكذلك اللغوي[2].

---

[1]- انظر على سبيل المثال هذا التصنيف عند الباحث مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب...ص 31.

*- ويوجد من الباحثين من يضيف إلى فلسفة اللغة العادية والوضعية المنطقية اتجاها ثالثا وهو اتجاه اللسانيات كما تُصوره كتابات تشومسكي، وما ترتب عليه من تصور معين لفلسفة اللغة ظهر عند أتباعه مثل كاتزوفودور، ويناقش هذا الاتجاه موضوعات تدور في فلك المعرفة اللغوية واعتبار النظرية اللغوية تفسيرية بدلا من ان تكون وصفية. انظر صلاح إسماعيل: فلسفة اللغة...ص 27.

[2]- أنظر أنطوان خوري: مدخل إلى الفلسفة الظاهرتية، دار التنوير. بيروت-لبنان. 1984- ص36.

2-1- **الظاهرتية اللغوية:**

يدرس هذا الاتجاه الفلسفي اللغة في إطار وجودي أعم منها، الوجود السابق للغة والوجود اللاحق لها، حيث انغمس في البحث عن أطر فكرية أعم من الكينونة اللغوية، إذ يتساءل عن بداية الحدث اللساني في أعماق الوجدان، وهو الحدث الذي يسميه دوسوسير بـ (المرحلة السديمية) التي هي مرحلة ذهنية ما قبل وجودية، وهي بذلك في غاية التجريد ولا علاقة لها بالاستعمال اللغوي، ولا بظروف استخدام اللغة ولا بأحوال أطراف الحوار ولا بملابسات التواصل ولا بأغراض المتكلمين. غير أن هذا الاتجاه جاء بمبدإ أصبح مركزيا في الدراسات الفلسفية اللغوية والتداولية، استثمره كل من الفيلسوفين اللغويين جون أوستين وجون سيرل[1].

2- **الوضعانية المنطقية Positivisme logique:**

الوضعانية المنطقية حركة فلسفية لغوية، شكلت جماعة فيينا (أشهرهم رودولف كارناب) معظم أفكارها. وقد اتفق فلاسفة هذه الحركة على مجموعة مبادئ تمثل الأعمدة الرئيسية التي ترتكز عليها حركتهم الفلسفية؛ أهمها[2]:

-الفلسفة تحليلية.

-الفلسفة علمية.

-القضايا تحليلية أو تركيبية.

-الميتافيزيقا لغو.

وتصدر هذه المحاور الأربعة عن تصور معين لوظيفة اللغة وكيفية عملها؛ حيث ميز الوضعيون المناطقة بين وظيفتين رئيسيتين للغة:

[1]- صحراوي: نفسه...ص33.

[2]-صلاح إسماعيل: التحليل اللغوي... ص 12

1- الوظيفة المعرفية: وهي التي تستخدم اللغة فيها كأداة تشير إلى وقائع وأشياء موجودة في العالم الخارجي، ولا تزيد مهمة اللغة بذلك على أن تجيء تصويرا لهذه الوقائع وتلك الأشياء.

2- الوظيفة الانفعالية: ومفاد هذه الوظيفة أن الانسان يستعمل اللغة أحيانا للتعبير عن مشاعر وانفعالات قد تضطرب بها نفسه كما هو الحال عند الشاعر مثلا. ويدخل في إطار هذه الوظيفة استعمالات معينة للغة، وتتمثل في العبارات التي تعالج مسائل الأخلاق والميتافيزيقا والجمال.

ولقد ارتأى فلاسفة هذه الحركة أن العبارات التصويرية هي العبارات ذات المعنى التي لها من الواقع ما تطابقه، وأهملوا العبارات المعبرة عن الأخلاق والجمال وغيره بحجة أن ليس لها من وقائع العالم ما يطابقها. وتحددت بالتالي مهمة العبارات ذات المعنى في وصف أو تصوير حالة من حالات الوجود الخارجي، ثم يجيء الحكم على هذه العبارات بعد ذلك بالصدق أو الكذب بناء على قابلية هذه العبارة للتحقق[1].

كما اهتم هذا الاتجاه الفلسفي باللغات الاصطناعية واتخذها بديلا عن اللغات الطبيعية. ونظر إلى اللغات الطبيعية على أنها عاجزة عن التعبير الصادق والشفاف عن الفكر الفلسفي التجريدي. غير أنها بسلوكها هذا المسلك تقصي القدرات التواصلية العجيبة التي تتمتع بها اللغات الطبيعية[2].

3- فلسفة اللغة العادية:

اهتمت هذه الحركة الفلسفية -على نقيض الوضعانية المنطقية-بدراسة كل ما في اللغة العادية من عبارات، سواء أكانت وصفية تقريرية أم إنشائية. وتكون بذلك قد أرجعت الاعتبار

[1]- صلاح إسماعيل: التحلبل اللغوي...ص 13

[2]- صحراوي: نفسه...ص32.

إلى العبارات التي كانت توصف في فلسفة الوضعية المنطقية بالخالية من المعنى لعدم وجود واقع تطابقه في العالم أو في الخارج.

ومن أهم الفلاسفة الذين يمثلون هذا الاتجاه الفلسفي، جورج مور وفتجشتاين في مرحلته الأخيرة وفلاسفة أكسفورد وأبرزهم؛ أوستين ورايل وستراوسون وغرايس، وسار على خطاهم جون سيرل ويورغن هابرماس. وعلى حين حفلت الوضعانية المنطقية ببحث العلاقة بين اللغة والعالم، اهتمت فلسفة اللغة العادية بالعلاقة بين اللغة والمتكلم. ومن هنا نشأ الاهتمام بأسئلة تتعلق باستعمال اللغة، وباللغة منظورا إليها كجزء من السلوك الإنساني. والسؤال الأساسي في هذا الاتجاه هو: ما العلاقة بين المعنى والاستعمال؟[1]

ومعنى ما تقدم، أن اللغة التي حفل فلاسفة أكسفورد بفحص منطقها هي اللغة العادية، وذلك على خلاف راسل والوضعيين المناطقة الذين حاولوا الاستعانة بلغات اصطناعية ذات صياغة صورية عالية.

كما نظر فلاسفة أكسفورد إلى الوصف باعتباره وظيفة واحدة من بين وظائف كثيرة متنوعة للغة؛ إذ توجد إلى جانب الوصف أغراض أخرى تستخدم من أجلها اللغة. فهناك السؤال والأمر والنهي والتعجب والرجاء وهلم جرا. الأمر الذي دفع فلاسفة أكسفورد الى البحث عن قواعد الاستعمال؛ أي القواعد التي تحكم استعمال العبارة وفق سياق وغرض معينين، ومن ثم بحثوا عن المعنى في حدود الاستعمال اللغوي، وانتهوا إلى نظرية جديدة هي نظرية الاستعمال اللغوي[2]، التي وضع حجر أساسها لودفيغ فتجنشتاين، ووضح معالمها فيما بعد مجموعة من الفلاسفة أبرزهم؛ جون أوستين وبول غرايس وجون سيرل وغيرهم.

[1]- صلاح إسماعيل: فلسفة اللغة... ص 26 و27.

[2]- صلاح إسماعيل: التحليل اللغوي...ص 17 و18.

- **المحاضرة العاشرة:**

فلاسفة كمبريدج في التحليل اللغوي (فريجه، وراسل):

يمثل فلاسفة كمبريدج في التحليل اللغوي توجها أو مدرسة فلسفية ينتمي أعضاؤها انتسابا معرفيا أو فعليا إلى جامعة كمبريدج في إنجلترا. وعلى الرغم من التباين الموجود بين أعضاء هذا التوجه فيما يتعلق بتصوراتهم للغة وكيفية معالجتها فلسفيا فإنهم يتقاطعون في بعض النقاط التي صنفوا بفضلها في مدرسة واحدة، ومن أهم تلك النقاط، اتفاقهم على أن اللغة موضوع الدراسة هي اللغة الاصطناعية، وأن الاجراء المعتمد في دراستها هو التحليل، والنظر إلى أن الذي يجب أن يدرس في اللغة هو العبارات التقريرية فقط دون العبارات الإنشائية؛ لأن الوصف أو التقرير عند فلاسفة كمبريدج أو ما يطلق عليهم بالمناطقة يمثل الوظيفة النموذجية الجديرة بالبحث الفلسفي. وقد حاولوا "أن يجعلوا من العبارة التقريرية قالبا تقد عليه عنوة كل صور التعبير اللغوي بحجة أن هذه العبارة هي وحدها ذات المعنى وفقا لمبدأ إمكانية التحقق للمعنى"[1]. وأهم الفلاسفة الذين يمثلون هذا التوجه غوتلوب فريجه، وجورج إدوارد مور وبرتراند راسل ولودفيغ فيتجنشتاين. وسنقتصر فيما يلي على ذكر عنصرين من هؤلاء؛ هما فريجه وراسل، مع التنبيه على أن ذلك لا يعني أفضليتهما على بقية الفلاسفة، وإنما نكتفي بها كنموذجين ينوبان عن بقية أعضاء التوجه.

1- **غوتلوب فريجه(G. Frege)**: فيلسوف وعالم رياضيات ألماني عاش بين سنتي (1848-1925). كان بحثه الرياضي متمركزا حول إشكالية رئيسية خاصة بإيجاد أسس منطقية راسخة للفكر الرياضي، وقد اقتنع أن تلك الأسس مفقودة في كافة التطبيقات الرياضية في عصره. حاولى فريجه أن يستخرج في دراساته بعض الأفكار المهمة ذات الطابع اللغوي المنطقي، وقد أسهمت إبداعية تلك الأفكار الفلسفية وخصوبتها في تشكيل النواة الرئيسية الأولى لفلسفة اللغة في القرن العشرين[2].

---

[1]- نفسه..ص 18.

[2]- محمد رشوان: نفسه...ص 27

كتب فريجه سلسلة مهمة من الأبحاث مثل "الدلالة والتصور" و"المعنى والإحالة"... أصبحت تمثل الآن كلاسيكيات الفكر التحليلي المعاصر. كما قدم في هذه الأعمال فكرته الخاصة عن طبيعة اللغة، وموقفه من اللغة المنطقية واللغة الطبيعية والفصل بينهما، وتفضيله للغة الاصطناعية في الدراسة الفلسفية على اللغة العادية، ورأى أن اللغة الاصطناعية ضرورية في البرهنة الحسابية، لأنها أحادية المعنى ومباشرة وصريحة، وليس لها من هدف سوى الوصول إلى الحقيقية[1].

1-2- أهم أفكار فريجه في اللغة:

- يبين فريجه في فلسفته أن الجملة (Sentence) هي الوحدة الأساسية في استخام اللغة؛ حيث إنها المحرك الأساسي في التواصل باللغة، ففيها يكوِّن المرء لغته ويستخدمها. ولا يمكن أن ننجح –حسبه- في فهم الكلمات المفردة إلا من خلال النظر إليها كعامل مساهم في صياغة واستخدام الجملة. ويرى أن التطبيق الرئيسي للجملة هو الذي نستخدمها فيه لأجل (التقرير- Assertion)؛ أي أن نقول شيئا إما أن يكون صادقا وإما أن يكون كاذبا، ومن ثم فإن فهم معنى الكلمات يعتمد على ارتباطها بقدرتنا على التحديد المطلق لصدق أو كذب جملة معينة تمثل تلك الكلمات مكوناتها، فمعنى الكلمات مرتبط بالوسيلة التي تسهم بها في تحديد اشتراطات صدق الجمل في تكونها.

ومن الممكن شرح فكرة فريجه بالقول إن مقاربة فريجه لفلسفة اللغة كانت مقاربة دلالية منطقية. والمسألة التي شغلته تتمثل في السؤال: ما هي الفروقات ذات الطابع المنطقي المتطلب وضعها في التعبيرات اللغوية بحيث يمكن استخدام تلك اللغة في إيصال الصدق وتفادي الكذب؟ وبمعنى أوسع نقول إن علم الدلالة عند فريجه هو ذلك الجانب من الدراسة اللغوية الذي يدرس مفهومي الإحالة والصدق؛ حيث تقدم هذه الدراسة مساهمتها في تحديد صدق أو كذب الجملة التي تمثل تعبيراتُها أجزاءها المكونة.

[1]- فيليب بلانشيه: التداولية...ص 30

- لقد أدت أفكار فريجه حول قضايا اللغة دورها كأساس للكثير من الأعمال اللاحقة في نظرية المعنى فيما ظهر فيما بعد من تاريخ لفلسفة اللغة.
- أثرت أفكار فريجه على الكثير من الفلاسفة الذي عاصروه مثل راسل وفتجنشتين وكارناب وغيرهم[1]، كما كانت أفكاره بمثابة النواة الأولى لظهور الكثير من التخصصات ذات الصلة بدراسة اللغة مثل فلسفة اللغة وعلم الدلالة والتداولية فيما بعد[2].

2- برتراند راسل 1872-1970:

ينحدر برتراند راسل من وسط النبلاء من عائلة انجليزية أرسطوقراطية مشهورة بالعلم والجاه. دَرس في جامعة كمبريدج، تميز بذكائه الخارق وتحصل على مرتبة الشرف الأولى في الرياضيات سنة 1893، وفي العلوم الأخلاقية سنة 1894، بعد تخرجه درَّس في أمريكا ثم انتقل إلى ألمانيا، وتحصل بعد ذلك على منصب تدريسي بكلية العلوم الاقتصادية والسياسية بجامعة لندن. تحصل على جائزة نوبل للآداب سنة 1950[3].

راسل شخصية جماهيرية مشهورة. والواقع أن مواقفه السياسية هي التي منحته الشهرة الواسعة وجعلت اسمه معروفا عند المثقف العادي في شتى دول العالم[4]. ومن مواقفه السياسية والاجتماعية وقوفه مع القضية الفلسطينية ومناهضته لوجود الأسلحة النووية ورفضه للمحرمات الجنسية، هاجم بشدة حرب أمريكا على الفيتنام. وقد دفع مقابل هذه المواقف خسارة منصبه في جامعة كمبريدج سنة 1916، وسجن سنة 1918 مدة ستة أشهر لمناهضته الخدمة العسكرية[5]. توفي راسل سنة 1970 عن عمر سبعة وتسعين عاما.

راسل عالم رياضيات وفيلسوف عصره، من أبرز فلاسفة الوضعية المنطقية، أرسى فلسفة منطقية مضادة للكانطية والهيجلية الجديدة، تعد أعماله امتدادا لأعمال الفيلسوف غوتلوب

---

[1]- محمد رشوان: نفسه...ص 28

[2]- فيليب: نفسه...ص 30

[3]- راسل: أثر العلم في المجتمع، ترجمة صباح الدملوجي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت- 2008، مقدمة المترجم، ص7

[4]- محمد رشوان: نفسه...ص 47

[5]- فيليب: نفسه...ص 32.

فريجه. طور لغة رمزية صارمة تخلو من التباسات اللغة العادية، كما اشتغل على النظرية النسبية لانشتاين. غطى راسل في أعماله المنطق وفلسفة اللغة والأخلاقيات والمعرفة، وبقيت أراء راسل حول الفلسفة التحليلية موضع جدل فلسفي حتى تلقاها فلاسفة الوضعية المنطقية في ثلاثينيات القرن العشرين. يعد راسل من القائلين بأن للغة تأثير كبير فيما يتعلق بكيفية فهمنا للعالم، وسعى لجعل "طريقة استخدام اللغة" جزءا أساسيا من الفلسفة، وقال في هذا الخصوص "وضوح التعبير فضيلة". وكانت نظرية الأوصاف (Theory of descriptions) مساهمته الأهم في مجال فلسفة استخدام اللغة؛ حيث قسم الكلام بموجب هذه النظرية إلى ثلاثة أنواع: تعابير لا تعني شيئا مثل (ملك فرنسا الحالي) لعدم وجود ملك في فرنسا حاليا، وتعابير. وتعابير تعني شيئا محددا دُعي "وصفا مجددا" مثل (ملك بريطانيا الحالي) لأن هناك ملك في بريطانيا حاليا وملك واحد فقط. وتعابير غامضة دعاها "تعابير غير محددة" مثل (رجل، بحر، منزل...) حيث توجد أشياء مثل هذه إنما هي غير محددة؛ مبهمة. وقد جمع راسل أعماله الفلسفة حول اللغة في محاضرات ألقاها سنة 1918 دعاها فلسفة المنطق الذري[1].

[1]- راسل: أثر العلم في المجتمع...مقدمة المترجم ص 11 و12.

- **المحاضرة الحادية عشرة:**

فلاسفة أكسفورد في التحليل اللغوي (جون أوستين) (1911-1960).

تعد نظرية الأفعال الكلامية من أهم مباحث التداولية، إذ يعود إليها الفضل في ظهور التداولية وتطورها وشيوعها بين الباحثين، لدرجة أنها بقيت لمدة عقود قطب الرحى الذي تدور حوله اهتمامات الدرس التداولي.

وميزة هذه النظرية، مقارنة بنظريات معارف أخرى اهتمت بدراسة اللغة، كاللسانيات والفلسفة، أنها تقطع الصلة مع الرؤية الفلسفية القديمة التي تنظر إلى اللغة باعتبارها أداة لوصف الواقع أو تمثيله، كما تقطع مع اللسانيات العامة، التي لا تتجاوز المستوى البنوي في دراستها للغة.

وقد انبثقت نظرية الأفعال الكلامية -أول الأمر-عن النتائج التي توصل إليها "**أوستين**" في الخمسينيات، بعدما وصف (في محاضراته[*]) الفلاسفة الذين سبقوه بـ"التوهم"، حينما افترضوا أن الحكم في القضية إما أن (يصف حالة شيء ما)، وإما أن (يثبت واقعة عينية)، مما يعني أن حكم القضية إما أن يكون صادقا، وإما أن يكون كاذبا. وأهملوا دراسة أصناف مهمة من الجمل، منها ما يفيد الاستفهام، أوالتعجب، أوالأمر، أوالتمني وغيره...

1-إسهامات "أوستين" في نظرية الأفعال الكلامية:

تتمثل أبرز مساهمات "**أوستين**" في نظرية الأفعال الكلامية فيما يلي:

- **أولا**: تمييزه بين نوعين من الأفعال:

1- **أفعال إخبارية أو تقريرية Constatives**: وهي أفعال تصف وقائع العالم الخارجي، وتكون صادقة أو كاذبة. صادقة إذا طابقت الواقع، وكاذبة إذا لم تطابق

[*]- ألقى جون أوستين محاضراته هذه في جامعة هارفارد ضمن برنامج "محاضرات وليام جايمس" منذ سنة 1955، وقد كانت غاية هذه المحاضرات وضع أحد أسس الفلسفة التحليلية الأنجلوسكسونية في تلك الحقبة موضع النقد والدراسة، المتمثل في أن اللغة تهدف إلى وصف الواقع، وكل الجمل (عدا الاستفهامية والأمرية والتعجبية) يمكن الحكم عليها بأنها صادقة أو كاذبة، فهي صادقة إذا كان الوضع الذي تصفه قد تحقق فعلا في الكون، وهي كاذبة بخلاف ذلك. انظر موشلار: التداولية اليوم... ص 30.

الواقع [*]. أو "هي صادقة بمجرد كونها منطوقا بها في السياق الملائم"، وغير صادقة بمجرد النطق بها في السياق غير المناسب.

فحين نقرأ -مثلا-عنوان مقال صحفي *"احتجاج عين صالح يتحول إلى عصيان مدني"* . نفهم بأن هذا العنوان يمثل أو يصف وينقل حالة واقعية كما هي حادثة في العالم الخارجي. فإذا وافق الخبر أن الاحتجاج تحول حقا إلى عصيان مدني نحكم عليه بالصدق، وإن كان الخبر عكس ذلك؛ أي إنه لم يناسب السياق الذي قيل فيه، بمعنى أن الاحتجاج في عين صالح لم يتحول إلى عصيان مدني، نحكم عليه بالخبر الكاذب أو الزائف.

2- **أفعال إنشائية أو إنجازية Performatives**: انطلاقا من تأمل الأفعال الإخبارية وعلاقتها بالواقع أو بالصدق، جاء أوستين بمفهوم جديد يتمثل في الإنشائي (Performatif)، أو الأفعال الإنشائية **التي تُنجِز بمجرد النطق بها أفعالا حقيقية**، ولا توصف هذه الأفعال بصدق أو كذب[*]، بل تكون موفَّقة (ناجحة) أو غير موفَّقة، ويدخل فيها فعل التسمية، والوصية، والاعتذار، والرهان، والنصح، والوعد، فبقولي (أعد) أنجز الوعد، وبقولي (آسف) أنجز الاعتذار...

ثانيا: تمييزه بين الأفعال الإنشائية الأولية والصريحة:

يمكن أن تكون –في تصور أوستين- الأفعال الإنشائية ضمنية (أو أولية)، كما يمكن أن تكون صريحة. وقد نبه "**أوستين**" على أسبقية الصيغ الإنشائية

---

[*]- ومفهوم الأفعال الإخبارية عند أوستين يطابق إلى حد بعيد مفهوم الكلام الخبري عند اللغويين العرب القدامى؛ إذ يعرفونه على أنه الكلام المحتمل للصدق والكذب، أو التصديق والتكذيب، ويعرفون الصدق بأنه الخبر عن الشيء على ما هو به، والكذب بأنه الخبر عن الشيء لا على ما هو به. ومرجع كون الخبر صدقا أو كذبا عند الجمهور -كما يوضح ذلك السكاكي-مطابقة ذلك الحكم للواقع، أو غير مطابقته له، وهو المتعارف بين الجمهور، وعليه التعويل. انظر أبويعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية ط2، بيروت-لبنان، 1987. ص 166 و167.

[*]- إن الإنشاء عند العرب حسب ما جاء في مطول التفتازاني: "قد يقال على الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه. وقد يقال: على **فعل المتكلم**، أعني: إلقاء الكلام الإنشائي كالإخبار" وقد قسم الإنشاء نقلا عن السكاكي إلى طلب وغير طلب، طلب كالاستفهام والأمر والنهي وغير ذلك، وغير طلب كأفعال المقاربة وأفعال المدح والذم وصيغ العقود والقسم ولعل ورب وكم الخبرية، ونحو ذلك. انظر سعد الدين التفتازاني: المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط3، 2013، ص 406.

الضمنية على الصيغ الإنشائية الصريحة في اللغات البشرية، وأورد أمثلة على ذلك:

- الصيغة الإنشائية الضمنية أو البدائية: (سأكون هناك).
- الصيغة الإنشائية الصريحة الانجاز: (**أعد** بأن سأكون هناك).
- ففي المثال الأول، الفعل التلفظي للوعد غير مصرح به، بل هو متضمن في القول، ويُفهم من خلال السياق الذي قيل فيه، وبتوفر شروط نجاحه.

كما أكد "**أوستين**" في هذا الصدد، على "أن كل تلفظ بعبارة إنشائية على الحقيقة ينبغي أن يمكن ردها أو التصريح بالمتضمن فيها أو تحليلها على وجه آخر أو تحويلها بتوليد صورة أخرى منها على النحو الآتي:...فقولك "مطرود" يكافئ في المعنى: "أصرح، أنطق، أعطي الأمر، أنادي عليه بالطرد...".

- أما في المثال الثاني، فالفعل التلفظي للوعد مصرح به، وهو الفعل "أعد" الذي يعبر عن فعل انجازي صريح.

وعلى أساس هذا التمييز، افترض **أوستين** "أنه من الناحية التاريخية، ومن وجهة نظر تطور اللغة، نستنتج أن تكون العبارة الإنشائية الصريحة متأخرة في ظهورها وتطورها عن بعض العبارات الابتدائية الأولية (في التركيب)، إذ كثير من هذه العبارات كان الإنشاء فيها موجودا على وجه التضمن أو موجودا بالقوة...فمثلا عبارة (سأعمل) أسبق في الوجود ومتقدمة في الزمن على عبارة (أعد بأنّي سأعمل)".

ثالثا: توضيحه للفعل الكلامي وتفصيل مكوناته:

إذا كان الموضوع الأساس للتداولية -بالإضافة إلى مباحث أخرى- هو نظرية أفعال الكلام، فإن موضوع نظرية أفعال الكلام هو "الفعل الكلامي"، بوصفه الوحدة الأساسية أو الدنيا للتواصل اللغوي، الذي يحدث نتيجة إصدار جهاز النطق لأصوات عديمة القيمة في نفسها، غير أنها تكتسب دلالاتها التواصلية والإنجازية بفضل التواضع الحاصل بين أفراد المجموعة

الكلامية الذين يعتمدونها وسيلة للتواصل والتفاهم الاجتماعيين، وبفضل المقاصد التي يضفيها المتكلمون على كلامهم.

وتمتاز الأصوات الكلامية الصادرة عن جهاز النطق بسمات مميزة، لأنها "يمكن أن تكون حكما أو سؤالا أو تفسيرا أو أمرا أو تحذيرا أو طلبا أو وعدا وهكذا، أو عددا كبيرا جدا من الاحتمالات الأخرى. فضلا عن ذلك، فإن ما يصدر من فمي يمكن أن يكون صادقا أو زائفا أو مملا، أو مضجرا أو مثيرا أو أصيلا، أو غبيا، أو فقط غير ذي صلة"، أي إنه يمكن أن تتوقف الأفعال الكلامية عند فعل الإخبار، أو تتجاوزه إلى فعل الانجاز، أي **تحقيق أفعال في الواقع بمجرد النطق ببعض الكلمات**. وهذه هي الفكرة الأساسية الجوهرية التي تأسس عليها كتاب "**أوستين**" (How to do thinghs with words) وتكررت أكثر من مرة في عدة مواضع من محاضراته الاثنتي عشرة، في إشارة منه إلى أهميتها والتأكيد عليها، حيث يقول "إننا حينما ننطق بالعبارات الإنشائية فنحن على وجه القطع **ننجز أفعالا** بالمعنى الصحيح لهذا التعبير"، وهو ما يسمى بالفعل الإنجازي، المنبثق عن فعل الكلام بتوفر مجموعة من الشروط.

ويعد الفعل الكلامي عموما والإنجازي تحديدا، هو الوحدة الأساسية في تحليل اللغة عند "**أوستين**"، لكن يتساءل "**أوستين**" كيف ننجز أفعالا بالكلام؟

وللإجابة عن هذا السؤال يخصص "**أوستين**" المحاضرة الثامنة من كتابه لهذا الغرض، من خلال سعيه إلى تقسيم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أفعال مرتبطة، هي الفعل التلفظي أو النطقي(Acte Locutoire) والفعل الإنجازي أو الفعل المتضمن في القول (Acte Illocutoire) والفعل التأثيري(Acte Perlocutoire)[**]:

1- **الفعل التلفظي(Acte locutoire)**: هو "النطق ببعض الألفاظ أو الكلمات؛ أي إحداث أصوات على أنحاء مخصوصة، متصلة على نحو ما بمعجم معين، ومرتبطة به، ومتمشية

[**]- ترجمت هذه المصطلحات في المؤلفات والبحوث العربية إلى مقابلات عديدة، نذكر منها على التوالي حسب الترتيب أعلاه: (Acte Locutoire= فعل القول، الفعل اللغوي، فعل الكلام، الفعل التعبيري، العمل القولي...(Acte Illocutoire) = العمل اللاقولي، العمل في القول، الفعل التمريري، الفعل المتضمن في القول، الفعل الغرضي، الفعل الوظيفي، قوة فعل الكلام...(Acte Perlocutoire) = لازم فعل الكلام، الفعل الناتج عن القول، الفعل التأثيري.

معه، وخاضعة لنظامه". وبهذا يشتمل الفعل التلفظي على مستويات صوتية ومعجمية ودلالية تتآلف فيما بينها وفق قانون لغوي معين، تؤدي دلالة ترتبط بمرجع معين. ولا يتحقق الكلام عند البشر إلا بفضل هذا الفعل.

2- **الفعل الإنجازي(Acte Illocutoire)**: يُعرَّف الفعل الانجازي -كما نقله **سيرل** عن **أوستين**- بأنه "أصغر وحدة مكتملة في الاتصال اللغوي الإنساني"، ويُعرِّفه "**أوستين**" وظيفيا بأنه " إنجاز فعل في حال قول شيء ما (مع مراعاة مقتضى الحال)"

ويعد هذا الفعل جوهر نظرية الأفعال الكلامية عند "**أوستين**"، ومن تبعه من تلامذته وأنصاره، وعلى رأسهم "**سيرل**". وقد اكتسب الفعل الانجازي هذه الأهمية لكونه "هو وحدة المعنى في التخاطب"، ولكون المتكلم يؤديه قصديا. وإذا لم يعقد القصد على الفعل، فإنه لم يفلح في انجاز ذلك الفعل. ولن يكتسب الفعل على إثر ذلك صفة الانجازية.

3- **الفعل التأثيري(Acte Perlocutoire)** : يقول "**أوستين**" موضحا الفعل التأثيري "لكي ننجز فعل التلفظ، وبالتالي الفعل الانجازي، لابد أيضا من أن ننجز نوعا آخر من الأفعال. فأن نقول شيئا ما، قد يترتب عليه أحيانا أو في العادة، حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب وأفكاره أو تصرفاته...وإنجاز فعل من هذا النوع يمكن أن نسميه بإنجاز ما ترتب عن فعل الكلام وما لزم عنه، وهو بالضبط مصطلحنا (لازم فعل الكلام أو الفعل التأثيري).

ومن بين النتائج والآثار التي يمكن أن تسفر عن الأفعال الانجازية في المستمعين، -حسب **أوستين**- هي كل فعل "وقع الفراغ منه كالحمل على الاعتقاد، والوصول إلى الإقناع، أوالترك، وحتى الوقوع في المباغتة أو التضليل"، ويقدم "**سيرل**" مجموعة من الأمثلة، يوضح بها فكرة أستاذه "**أوستين**" قائلا. "فمثلا، من خلال أمرك بأن تفعل شيئا، أدفعك إلى أن تقوم به، ومن خلال المجادلة معك، قد أتمكن من تغير موقفك، وحين أصدر حكما قد أقنعك، ومن خلال رواية قصة، قد أذهلك. ".

لم يول "**أوستين**" ومن تبعه، كثير اهتمام بهذا الفعل، ورأوا بأنه خارج اهتمامات نظرية الأفعال الكلامية.

رابعا: تصنيفه لأفعال الكلام:

لقد قدم "**أوستين**" تصنيفا أوليا للأفعال الكلامية، قائما على أساس قوتها الإنجازية، يشتمل على خمسة أصناف، وهو تصنيف **غير مرضٍ ولا مكتمل** في نظره، ويبقى مفتوحا على اقتراحات أخرى، حيث يقول -في هذا الصدد- "وقد كنت ذكرت أنني سأحاول أن أقدم تصنيفا أوليا عاما، وأبدي بعض الملاحظات على ما أقترحته من تصنيفات...وعلى ذلك فإني أميز خمسة أصناف أو فئات عامة، وإن كنت مع ذلك غير مسرور ولا راض عن أية واحدة منها" وهي كما يلي:

1- **الحكميات (أو أفعال الأحكام) (Verdictives)**: يمثل الصنف الأول الأحكام والقرارات القضائية، يختص بكونه ناتجا عن إصدار حكم حول شيء ما. ومن أمثلته: حكم، أثبت، يعترف، سجل، حلل، وصف...

2- **الإنفاذيات (أفعال القرار) (Exercitives)**: يمثل الصنف الثاني الممارسة التشريعية، فيتعلق بممارسة السلطة، والقانون، والنفوذ، ومن أمثلة ذلك، التعيين في المناصب والانتخابات وإصدار الأوامر التفسيرية في المذكرات والنصح والتحذير وغيرها، ومن أفعالها: أمر، صرح، ضغط، حذر، صرح، نقض، أبطل...

3- **الوعديات (أفعال التعهد) (Commissives)**: يتمثل نموذج الصنف الثالث في إعطاء الوعد والتكفل والتضمان والتعهد، أي إلزام المتكلم نفسه بفعل شيء ما، من أمثلته: وعد، تعهد، التزم، ساند، نذر نذرا، انتصر له، ناصر قضية، راهن...

4- **السلوكيات (أفعال السلوك) (Behabitives)**: يرتبط هذا الصنف بالأوضاع السلوكية أو بإفصاحات عن حالات نفسية أو ردّات فعل على ما يحدث للآخرين، ومن أمثلتها: الاعتذارات، والتهاني، والتعازي، والقسم، وأنواع السباب، والقذف، والتحدي...

5- **الإيضاحيات (أفعال الإيضاح) (Expositives)**: يختص هذا الصنف بتوضيح كيف أن العبارات المتلفظ بها تجري مجرى الاحتجاج والنقاش، كما تكشف كيفية توضيح وجهات النظر، ومن أمثلته: أحتج، أعارض، أوضح، أفترض....

-المحاضرة الثانية عشرة:

فلاسفة أكسفورد في التحليل اللغوي (جون سيرل).

إن ما قدمه "**أوستين**" من جهد معرفي ومنهجي، لم يكن كافيا -في نظر المختصين- لوضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، لكنه كان كافيا ليكون نقطة انطلاق إليها، وذلك بتحديده لعدد من المفاهيم الأساسية فيها، وبخاصة مفهوم الفعل الإنجازي الذي أصبح مفهوما محوريا في هذه النظرية، حتى جاء "**جون سيرل**" فأحكم وضع الأسس المنهجية التي تقوم عليها، وكان ما قدمه عن الفعل الإنجازي كافيا لجعل الباحثين يتحدثون عن (نظرية **سيرل** في الأفعال الكلامية) [1]. التي حاولت بدورها اختزال مفهوم الفعل الانجازي نفسه في مفهوم القوة الانجازية، "وهذا ما يكشف عنه بالخصوص تحليل سيرل لبنية العمل في القول، حيث إنه استخرج قواعدها من واسم قوة القول. وليس يعسر، إذا سلمنا بهذا، أن نرى في قوة القول النواة الصلبة والأساسية لنظرية الأعمال اللغوية"[2]. لدرجة أنه وضع تصنيفه للأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية.

- **إسهامات "سيرل" في نظرية الأفعال الكلامية:**

يمكن حصر أبرز المساهمات التي قدمها "**سيرل**" لنظرية أفعال الكلام في النقاط التالية:

- **إعادة النظر في تقسيم أوستين للفعل الكلامي**[3]: قام "**سيرل**" بتعديل التقسيم الذي قدمه "**أوستين**" للفعل الكلامي فجعله أربعة أقسام، أبقى منها على القسمين الانجازي والتأثيري، لكنه جعل القسم الأول وهو الفعل اللفظي قسمين:
- **أحدهما الفعل النطقي**: ويشمل الجوانب الصوتية التركيبية والمعجمية.
- **وثانيهما الفعل القضوي**: ويشمل المتحدث عنه أو المرجع، والمتحدث به أو الخبر.

---

[1]- انظر محمود نحلة: آفاق جديدة... 47.

[2]- شكري المبخوت: دائرة الأعمال اللغوية، مراجعات ومقترحات...ص 52.

[3]- انظر محمود نحلة: آفاق جديدة... 71 و72.

- **تحليل الفعل الإنجازي إلى قوة انجازية ومحتوى قضوي**[1]:

لقد ميز **سيرل** داخل الجملة بين ما يتصل بالفعل المتضمن في القول في حد ذاته، وهو ما يسميه "**واسم القوة المتضمنة في القول**"، وما يتصل بمضمون الفعل وهو ما يسميه "**واسم المحتوى القضوي**". وعلى هذا النحو فإننا في الجملة:

- (أعدك بأن أحضر غدا) نجد أن (أعدك) هو واسم القوة المتضمنة في القول، وأن (أحضر غدا) هو واسم المحتوى القضوي. وهكذا فإن القائل الذي يتلفظ بجملة (أعدك بأن أحضر غدا) يقصد في مقام أول الوعد بأن يحضر غدا، ويتحقق هذا القصد بفضل قواعد لسانية تواضعية تحدد دلالة جملة(أعدك بأن أحضر غدا). وعلى هذا النحو فإن للقائل مقصدين هما:

أ)- الوعد بالحضور غدا،

ب)- إبلاغ هذا المقصد من خلال إنتاج جملة (أعدك بأن أحضر غدا) بموجب القواعد التواضعية المتحكمة في تأويل هذه الجملة في اللغة المشتركة.

يقول "**سيرل**" في سياق تمييزه للقوة الإنجازية التي يرمز لها بـ (ق)، عن المحتوى القضوي أو الخبري الذي يرمز له بـ (خ) "...يمكننا تمثيل بنية الأفعال التمريرية بوصفها ق(خ)، حيث تمثل ق القوة التمريرية، وخ المحتوى الخبري. وهذا يعني أننا نستطيع أن نعزل جزء الفعل الكلامي الذي يشكل نمطه التمريري أو قوته التمريرية عن الجزء الذي يشكل محتواه الخبري"[2].

- **تحديده للشروط التي بمقتضاها يُكلَّل الفعل الإنجازي بالنجاح (الوعد مثلا)**: بعدما جعل "**سيرل**" الفعل الكلامي كيانا بوجهين؛ يضم محتوى قضويا وقوة انجازية، عكف

[1]- انظر موشلار: التداولية اليوم... 33.

[2]- جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع... 204.

على إعادة تصنيف الأغراض الإنجازية التي أعاد صياغتها بحسب اثني عشر (12) مقياسا. اعتبر بعضا منها مقاييس اختبار حقيقية[1] وهي:

أ- **القواعد التحضيرية ذات الصلة بمقام التواصل**: وهي القواعد اللازم تحققها ليكون الفعل صحيحا، أي ناجحا غير فاسد، فقد يكون الوعد فاسدا إذا لم يكن الفعل الموعود بوقوعه أمرا في صالح المخاطَب[2]، لذا تضمنت القواعد التحضيرية في نظرية سيرل شرطين أساسيين هما:

- يجب أن يفضل المخاطَب (أو الموعود) قيام المتكلم (أو الواعد) بالفعل على عدم قيامه. ويجب أن يعتقد المتكلم بأن المخاطب يفضل قيامه بالفعل على عدم قيامه، وإلا فإن المتكلم سيقوم بفعل التحذير أو التهديد بغض النظر عن مقاصده.

- يجب ألا يكون من الواضح لكل من المتكلم والمخاطب، بأن المتكلم سوف يقوم بالفعل في الأحوال الاعتيادية، أو أن ذلك الفعل متوقع منه في كل الأحوال[3].

ب- **قاعدة المحتوى القضوي**: يقتضي الوعد من المتكلم أن يُسند إلى نفسه انجاز فعل في المستقبل[4]، فلا يمكن للمتكلم أن يقول مثلا "أعدك بأنني زرتك قبل أسبوع"، مع أنه يستطيع أن يقول "أخبرك بأنني زرتك قبل أسبوع (ولم أجدك)"، لأن الوعد قوة تتطلب فيما يرتبط بها من قضية، شروطا لا يتطلبها الإخبار، الذي هو قوة أخرى[5].

ج- **قاعدة الإخلاص**: يتحقق شرط الإخلاص "حين يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل، فلا يقول غير ما يعتقد، ولا يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع"[6]، وهذا

1- انظر ماري آن بافو: النظريات اللسانية الكبرى... ص 361. وللاطلاع على بقية المقاييس التي لم نذكرها في المتن نحيل القارئ إلى فيليب بلانشيه: التداولية... 64 و65. وانظر صلاح اسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير، بيروت- لبنان. 1993، 225 وما بعدها إلى 229.

2- انظر طالب سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب... 20.

3- هشام إبراهيم عبد الله الخليفة: نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، لبنان، ط1، 2007. ص 117.

4- انظر موشلار: التداولية اليوم... 34.

5- انظر طالب سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية... 19.

6- محمود نحلة: آفاق جديدة...48.

يعني أنه "ينبغي عليه أن يكون عند الإثبات أو الوعد نزيها"[1]. وترتبط هذه القاعدة بالحالة الذهنية أو النفسية للمتكلم التي "تشكل شرط الصدق على الفعل الكلامي"[2]. ويتغير شرط الصدق أو الإخلاص بحسب تنوع مجموعات أصناف الأفعال الكلامية، وكل صنف له شرط صدق واحد دائم، فشرط الصدق في الاثباتيات -مثلا- هو دائما الاعتقاد، وفي الالزاميات هو دائما القصد...الخ.

د- **القاعدة الأساسية**: تحدد هذه القاعدة نوع الالتزام الذي قدمه أحد المتخاطِبَين لانجاز الفعل، حيث يقتضي الوعد أو التقرير، التزام المتكلم بخصوص مقاصده أو اعتقاداته[3].

ه- **قواعد القصد والمواضعة**: تُحدد هذه القواعد "مقاصد المتكلم والكيفية التي يُنفِّذ بها هذه المقاصد بفضل المواضعات اللغوية"[4]، يقول "**جون سيرل**" موضحا قصدية فعل الوعد، "إذا أطلقت وعدا، فأنا أعبر بالضرورة عن قصدي للقيام بالشيء الذي وعدت بالقيام به. إذا وعدت بأن أجيء إلى حفلتكم، فأنا أعبر بالضرورة عن قصد المجيء إلى حفلتكم. وهذا يعني أنني أعبر عن حالة قصدية مرافقة للمحتوى الخبري نفسه بوصفه الفعل الكلامي نفسه، وأن تلك الحالة القصدية، وهي أنني أنوي المجيء إلى حفلتكم، هي شرط الحقيقة على الفعل الكلامي"[5]. وأن الغرض الإنجازي لأي فعل كلامي يربطه بنظرية القصدية[6].

كما لا يمكن أن تتحقق قوة فعل الكلام إن لم تكن الوسائل المستعملة في الإفهام متواضعا عليها[7]، لأن التواضع هو الشرط المؤدي إلى معرفة مقاصد المتكلمين.

---

[1]- موشلار: التداولية اليوم... 34.

[2]-- جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع... 217.

[3]-انظر موشلار: التداولية اليوم... 34.

[4]- موشلار: المرجع نفسه... 34.

[5]- جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع... 216.

[6]- انظر جون سيرل: المرجع نفسه... 216.

[7]- انظر جون أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة... 150.

2- إعادة النظر في تصنيف "أوستين" لأفعال الكلام، وتقديم البديل:

انتقد "**سيرل**" تصنيف "**أوستين**" لأفعال الكلام، ورأى أنه -على الرغم من أهميته المعرفية والمنهجية- لا يعتمد على مبادئ محددة وواضحة، والسبب أن **أوستين** اعتمد تصنيف ألفاظ الأفعال الكلامية(Verbes) كأساس في تصنيف الأفعال الكلامية(Actes)[1]، وعلى إثر ما بدا له من نقائص على تصنيف "**أوستين**"، اقترح "**سيرل**" تصنيفا جديدا أكثر ضبطا ووضوحا في الرؤية والمنهجية، قائما على ثلاثة أسس تختلف بموجبها أفعال الكلام، وهي[2]:

1- **الغرض الإنجازي**: تختلف الأفعال الكلامية فيما بينها، بحسب الغرض أو القصد من الفعل الكلامي، وهذا أهم الأسس الثلاثة في تصنيف "**سيرل**".

2- **اتجاه المطابقة**: قد تختلف أفعال الكلام بحسب علاقتها بالعالم الخارجي، إذ إن جزءا من أهداف بعض الأفعال الكلامية ينصب على محاولة مطابقة الكلمات أو محتواها الخبري للعالم الخارجي. أما البعض الآخر فعلى العكس يحاول مطابقة العالم الخارجي للكلمات.

3- **شرط الإخلاص**: وقد تختلف الأفعال الكلامية بحسب الوضع النفسي الذي تعبر عنه، وفي هذا المعيار يستعمل "**سيرل**" ثلاثة أفعال كأساسيات تُبنى عليها الأفعال الأخرى، وهي (يعتقد) و(يريد) و(ينوي)، على اعتبار أن الإخبار أو التفسير يتضمن الاعتقاد بالقضية، وأن فعل الوعد يتضمن القصد أو عقد النية على القضية، بينما يتضمن فعل الأمر الرغبة في القضية.

3- تصنيف الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف،

وبمراعاة هذه المعايير يقترح "**سيرل**" تصنيف الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف، يرتبها ويوضحها كما يلي:

---

[1]- سجل سيرل العديد من النقائص على تصنيف أوستين، ووجه له اعتراضات كثيرة، أهمها: وجود ارتباك مستمر بين ألفاظ الأفعال والأفعال الكلامية، ليست كل ألفاظ الأفعال أفعالا انجازية، يوجد تداخل كبير بين فئات الأفعال، كثير من الأفعال المُدرجة في فئات لا تفي بشروط التعريف المعطى للفئة، لا يوجد مبدأ متين يقوم عليه التصنيف. ولمزيد من التفصيل في هذه الحيثية، انظر صلاح إسماعيل: التحليل اللغوي... ص 230 وما بعدها.

[2]- انظر هشام إبراهيم عبد الله الخليفة: نظرية الفعل الكلامي... 124 و125.

1- **الإخباريات (Assertives)**[*]: الغرض الإنجازي للإخباريات -حسب **سيرل**- هو **الالتزام للمتلقي بحقيقة الخبر**. فهي أن نقدم الخبر بوصفه تمثيلا لحالة موجودة في العالم. ومن أمثلتها الأحكام التقريرية والأوصاف الطبية والتصنيفات والتفسيرات. وتنطوي جميع الإخباريات على اتجاه مطابقة **من الكلمات إلى العالم**، وشرط الصدق أو الإخلاص فيها هو دائما **الاعتقاد**. فكل إخبار هو تعبير عن اعتقاد. وأبسط اختبار لتحديد هوية الإخبار، هو أن نسأل ما إذا كان المنطوق صادقا أو زائفا بالمعنى الحرفي. وبما أن للإخباريات اتجاه مطابقة من الكلمات إلى العالم، فإنها يمكن أن تكون صادقة أو زائفة[1].

2- **التوجيهيات (Directives)** : الغرض الإنجازي في التوجيهيات هو **محاولة جعل المتلقي يتصرف بطريقة تجعل من تصرفه متلائما مع المحتوى الخبري للتوجيه**. وتتوفر النماذج على التوجيهيات في الأوامر والنواهي والطلبات. واتجاه المطابقة هو دائما **من العالم إلى الكلمات**، وشرط الصدق النفسي المعبر عنه هو دائما **الرغبة**. وكل توجيه هو تعبير عن رغبة بأن يقوم المستمع بالفعل الموجه به. والتوجيهيات من طراز الأوامر والطلبات لا يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة، لكن يمكن أن تطاع أو تهمل، أو يخضع لها أو تستنكر...الخ[2].

3- **الإلتزاميات (Commissives)**: يتمثل غرضها الانجازي في **التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل يكون ممثلا في المحتوى الخبري**، وتتمثل نماذجها في المواعيد والنذور والرهون والعقود والضمانات. واتجاه المطابقة في الإلتزاميات هو دائما **من**

---

[*]- يوجد من الباحثين العرب من يترجمها بالأفعال التصويرية أو التوضيحية أو الممثلات في مقابل المصطلح الأجنبي (Représentatives)، ويوجد من يترجمها التقريريات أو الإثباتيات أو الإخبارات في مقابل (Assertives). كما ترجمت الأصناف الأخرى إلى مقابلات عديدة، حيث ترجمت (Directives) إلى الأمريات، والطلبيات، والموجهات والأفعال التوجيهية، والطلبية...وترجمت (Commissives) إلى الإلتزاميات، والملزمات، والوعديات، والأفعال الإلزامية، والإلتزامية...وترجمت (Expressives) إلى التعبيريات، والافصاحات، والأفعال المعبرة، والمعبرات والتعبيرية...وترجمت (Déclarations) إلى الإعلانيات، والتصريحيات، والإعلانية، والإيقاعيات، والتصريحات والإعلانات...وقد اخترنا أن نوظف في البحث، المصطلح الأكثر شيوعا وانتشارا والأثبت استعمالا عند أكثرية الباحثين.

[1]- انظر جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع... 217

[2]- انظر جون سيرل: المرجع نفسه... 218.

العالم إلى الكلمات، وشرط الصدق المعبر عنه هو دائما **القصد**. على سبيل المثال، كل وعد أو تهديد هو تعبير عن قصد للقيام بشيء ما. ولا يمكن أن تكون المواعيد والنذور، كالأوامر والنواهي حقيقية أو زائفة، ولكنها يمكن أن يتم تنفيذها أو يحافظ عليها، أو يحنث بها[1].

4- **التعبيريات (Expressives)**: الغرض الإنجازي للتعبيريات هو التعبير عن شرط الصدق للفعل الكلامي، ومن نماذج التعبيريات؛ الاعتذارات والتشكرات والتهاني والترحيبات والتعزيات. والمحتوى الخبري في التعبيريات من الناحية النمطية ليس له اتجاه مطابقة، لأن حقيقة المحتوى الخبري يُسلَّم بها فحسب. إذا قلت: (أعتذر لضربك)، أو (تهانينا على فوزك بالجائزة)، فأنا أسلم تسليما بأنني ضربتك، أو أنك فزت بالجائزة، ولذلك -يفترض **سيرل** قبليا- وجود اقتران بين المحتوى الخبري والواقع. بيد أن شرط الصدق في التعبيريات يتغير مع تغير نمط التعبير. وهكذا، فالاعتذار صادق إذا كان المتكلم يشعر بالأسف فعلا عما يعتذر عنه. والتهاني صادقة إذا كان المتكلم يشعر بالبهجة حقا لِما يهنئ المتلقي عليه[2].

5- **الإعلانيات (Déclarations)**: الصنف الأخير من الغرض الانجازي في الأفعال الانجازية هو الإعلانيات، وفي الإعلان تكون وظيفة الغرض الانجازي إحداث تغيير في العالم بتمثيله وكأنه قد تغير. فتخلق الأفعال الانجازية وكذلك الإعلانيات الأخرى، حالة فقط من خلال تمثيله وكأنه قد تغير. وأفضل الأمثلة التي يقدمها "**سيرل**" على ذلك: (أعلن أنكما زوج وزوجة)، (لذلك أعلن اندلاع الحرب)، (أنت مطرود)، (أنا مستقيل). في هذه الحالات يوجد اتجاه مطابقة مزدوج لأننا نغير العالم، وهكذا نحقق اتجاه مطابقة من العالم إلى الكلمات بتمثيله وكأنه تغير.

وتنفرد الإعلانيات بين الأفعال الكلامية بكونها تحدث التغييرات في العالم فقط بفضل الأداء الناجح للفعل الكلامي. إذا نجحت في إشهاركما زوجا وزوجة، أو أعلنت

---

[1]- انظر جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع... 218.

[2]- انظر جون سيرل: المرجع نفسه... 219.

الحرب، فإن حالة فعلية توجد في العالم لم توجد من قبل. وعلى العموم، لا تكون هذه الإعلانيات ممكنة إلا بسبب وجود مؤسسات خارج اللغة[1]. تضفي شرعية اجتماعية على الأفعال المُنجزة بالكلام.

لقد لاحظ "**سيرل**" بعد تصنيفه للأفعال الكلامية وفق القواعد والمعايير التي اشترط توفرها لإنجاح الفعل الإنجازي، أن المنطوق الإنشائي الواحد يمكن أن ينطوي على أكثر من صنف، ومن ثم على أكثر من غرض انجازي؛ ويوضح ذلك بالمثال في قوله "...ففي المنطوق الأدائي: (أعد بأن أجيء وأراك)، يؤدي المتكلم أولا فعلا **تصريحيا**. وهو يجعل الحالة كذلك بإعلانه أنه يَعِدُ. لكنه وبهذه الواقعة نفسِها، يخلق حالة فعلية تؤدي وظيفة **تمثيل**، أي حالة فعلية لكون المتكلم يَعِدُ، فإنها تشكل أيضا **وعدا وإثباتا** على السواء للأثر الذي يترتب على الوعد. ولذلك فهي تنطوي على الأنماط الثلاثة جميعا من النقطة التمريرية: **التصريحية، والإلزامية، والإثباتية**"[2].

4- تمييزه بين الأفعال الانجازية المباشرة وغير المباشرة:

استطاع "**سيرل**" أن يميز بين الأفعال الانجازية المباشرة والأفعال الانجازية غير المباشرة، فبيَّن أن **الأفعال الانجازية المباشرة** هي التي تطابق قوتها الانجازية قصد المتكلم، أي أن يكون ما يقوله مطابقا لما يعنيه[3]،إذ يمكن للمرء أن يطلب من جليسه أن يمرر له الملح بأن يقول حرفيا: (أطلب منك أن تمرر لي الملح)، أو (مرر لي الملح). لكن المرء يقول في العادة: (هل تستطيع أن تمرر لي الملح؟)، أو (هلاَّ مررت لي الملح؟)، أو (أريد أخذ الملح)، أو (هل لي بقليل من الملح؟)، أو (هل الملح في متناول يدك؟)، ومثل هذه الحالات التي يؤدي فيها المرء فعلا كلاميا بصورة غير مباشرة من خلال أدائه فعلا آخر، تسمى بـ "**الأفعال الكلامية غير المباشرة** "، وهي التي لا تؤدى بنطق جمل يعبر معناها الحرفي عن المعنى الذي يقصده المتكلم[4].

---

[1]- انظر جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع... ص 219 و220.

[2]- جون سيرل: المرجع نفسه... 220.

[3]- انظر محمود نحلة: آفاق جديدة... 50.

[4]- انظر جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع...ص 220 .221.

وبالعودة إلى ما يقوله "**سيرل**" في شأن التعرُّف إلى مقاصد المتكلم، فإن من يقول (هل تستطيع أن تناولني الملح؟) لا يقصد طرح **استفهاما** حول مقدرة المتلقي تقديم الملح له، ولكن **يدعوه** إلى تمكينه منه[1].

ولصعوبة الوصول إلى قصد المتكلم من خلال الدلالة التواضعية للجملة، رأت إستراتيجية "**سيرل**"، أنّ المتكلم في فعل كلامي غير مباشر من قبيل (هل تستطيع أن تناولني الملح؟)، لا ينجز فعلا لغويا واحدا، بل اثنين: **فعلا أوليا** يتمثل في الالتماس الذي يُنجَز بواسطة **فعل ثانوي** هو السؤال. فالمقصد المتضمن في القول، أي الفعل الذي ينوي المتكلم انجازه بواسطة جملته، إنما يتصل فقط بالفعل الأولي، وهذا القصد هو الذي ينبغي تبنّيه[2].

ثم عمَّق "**سيرل**" تحليله، معتبرا أن المتكلم يتواصل بشكل أكثر مما يفصح عنه "المحتوى الظاهر للملفوظ"، وذلك بفضل توفر خلفية من المعطيات السياقية التي يتقاسمها كل من المتكلم والمخاطَب، نحو (الملح على المائدة)، والمواضعات الاجتماعية (صيغة الاستفهام التي تلطف من حدة صيغة الأمر). كما يُدخل في الاعتبار مفهوم قواعد المحادثة لغرايس، أي القواعد الاجتماعية للتفاعل الكلامي، وعلى العموم فإن المخاطَب يتعاون ويجري الاستدلالات الملائمة، ويؤول بدرجة ثانية القول (هات الملح)[3].

كما لاحظ "**سيرل**" بعد مناقشته لعدد كبير من الأفعال الانجازية غير المباشرة، أن أهم البواعث على استخدام الأفعال غير المباشرة هو التأدب في الحديث[4]. إذ قلما نسمع أحدا يطلب شيئا من محاوره باستخدام صيغة الأمر المباشرة أو الانجازية الصريحة، بل يلجأ عادة إلى أساليب عديدة غير مباشرة من نوع الجمل التي أوردها "**سيرل**" (حول مثال ناولني الملح). كما أنه، قلما يعتمد المتحدثون في الحياة اليومية، اللغة الحرفية أو المباشِرة في التعبير عن مقاصدهم[5]. بل يعتمدون-كما يؤكد سيرل نفسه- تعابير يختلف فيها معنى الجملة بنويا عن

---

[1]- انظر موشلار: التداولية اليوم... 58.

[2]- انظر المرجع نفسه... 59.

[3]- انظر فيليب بلانشيه: التداولية... 69.

[4]-انظر محمود نحلة: آفاق جديدة.... 51.

[5]- هشام إبراهيم: نظرية الفعل الكلامي... ص 165.

المعنى الذي يقصده المتكلم، تشمل الاستعارة والكناية والسخرية والتهكم والتهويل والتهوين[1].

[1]- انظر جون سيرل: جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع... 221.

- **المحاضرة الثالثة عشرة:**

القصدية: "جون سيرل نموذجا".

مقدمة:

تؤدي اللغة وظيفتها الجوهرية في الخطاب، عندما ترتبط **بمقاصد المتكلم/الكاتب**؛ أي بعدما يُحَمِّلُها بالأغراض والأفكار والمعتقدات التي يسعى، ليس فقط إلى تبليغها إلى المتلقي، بل إلى إقناعه بها. ذلك أن المقاصد -في التداولية-أهم من المحتويات القضوية التي تحملها ملفوظات الخطاب.

وبما أن المقاصد ترتبط بما يقرره المتكلم في ذهنه، ثم يسعى إلى توجيه المستمع إلى إدراك ما يحمل خطابه من معاني، فإنه من الصعوبة أحيانا على المتلقي أن يفهمها كما قصد المتكلم.

لذلك، ولأهميتها في حياة الناس التخاطبية، اهتمت الفلسفة الحديثة بدراسة القصدية مع مباحث العقل والإدراك، وخصصت لها نظرية قائمة بذاتها ضمن "فلسفة العقل"، وهي "نظرية القصدية"، التي يعد فيها الفيلسوف الأمريكي "جون سيرل" من أبرز أعلامها، وهو القائل، مؤكدا على أهميتها في حياتنا اليومية: "لكي نفهم حياتنا علينا أن نفهم القصدية"([1]).

وفي هذا السياق تأتي هذه المحاضرة لإثارة بعض العناصر ومناقشتها، وذلك بعد الوقوف على عتبة الأسئلة التالية: ما القصدية؟ وما هو موضوعها؟ وما هي أنواعها؟ وما أهميتها في المبحثين الفلسفي واللغوي؟ وفيما تتمثل أهميتها بالنسبة لحياة الناس التخاطبية؟

1- القصدية من فلسفة العقل إلى أفعال الكلام:

يندرج مبحث القصدية(Intentionality)، في الأصل، ضمن فلسفة العقل(*)، ويعد من أهم مباحثها الشائكة، التي تمثل إشكالا فلسفيا عميقا. إذ "قامت نظريات عديدة ومذاهب فلسفية

---

[1]- جون سيرل: العقل، مدخل موجز. ترجمة ميشيل حنا ميتاس، عالم المعرفة، العدد 343، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر 2007، 141.

*- يحدد جون سيرل "فلسفة العقل" في قوله: " فنظرية العقل التي حاولت أن أبلورها، هي بقدر ما، محاولة للإجابة عن السؤال عن الطريقة التي تتسق بها الصورة الذهنية لعالم الواقع-أي عالم العقل والقصدية intentionality، وغيرها من الظواهر العقلية- داخل عالم

كاملة على النظرية القصدية"([1]). وذلك راجع لتعقد مسائلها، وصعوبة دراستها والبحث فيها. لدرجة أن الفيلسوف الأمريكي جون سيرل يصفها بالمشكلة، حيث يقول في معرض ترتيبها ضمن مشاكل فلسفة العقل، "تأتي القصدية في المرتبة الثانية تماما بعد مشكلة الوعي كمشكلة صعبة. ربما صعبة بصورة مستحيلة، في فلسفة العقل. في الحقيقة إن مشكلة القصدية نوع من صورة مرآتية لمشكلة الوعي"([2]). وإذا كانت مشكلة القصدية انعكاس مباشر لمشكلة الوعي، فهو الدليل القاطع على قوة الترابط الموجودة بينهما، لذا أدرجت المشكلتين في باب واحد من مباحث الفلسفة وهو فلسفة العقل.

2- مفهوم القصدية:

القصدية مشتقة من الفعل "قصد يقصد قصدا، وأصل (ق. ص. د) ومواقعها في كلام العرب كثيرة ومنها؛ الاعتزام، والتوجه، والنهوض نحو الشيء" ([3]).

القصد عند العرب إذن، يعني النية واعتزام فعل الشيء، أو التوجه والنهوض نحو الشيء، وهي كلها أفعال تعقد نيتها في العقل قبل انجازها.

كما توحي كلمة (القصدية) -في بعض اللغات الأوروبية- بمعنى التوجه، وهي مرتبطة دائما بـ"القصد"، بمعنى النية، مثلما أقول مثلا (إنني أقصد أو أنوي الذهاب إلى السينما الليلة). وقد دخلت كلمة القصدية إلى الفلسفة، من باب أبحاث الفلاسفة الناطقين بالألمانية([4]).

ولقد "أطلق المذهب التقليدي الفلسفي على صفة التوجه للموضوعات أو الإشارة إليها والتحدث عنها اسم "القصدية" (Intentionality)، لكن المصطلح لم يكن دقيقا وأدى في معظم الحالات إلى نوع من الخلط داخل المذهب التقليدي ذاته"([5])، وهذا ما أدى بـ"جون سيرل" إلى

يتألف من جسيمات مادية مترابطة تدور حول حقول الطاقة". بناء الواقع الاجتماعي، من الطبيعة إلى الثقافة. ترجمة وتقديم حسنة عبد السميع ومراجعة إسحاق عبيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة- مصر. 2012، ص 29.

[1]- جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل. ترجمة أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 2009. ص 16.

[2]- جون سيرل: العقل، مدخل موجز. ترجمة ميشيل حنا ميتاس، عالم المعرفة، العدد 343، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر 2007، ص130.

[3]- أحمد كروم: مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي. كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ط1، عمان- الأردن. 2015. ص 15.

[4]- انظر جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي. ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان. ط1، 2006. ص 129.

[5]- جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل... 21.

عدم التزامه باستعمال الصفات التي ينسبها التراث الفلسفي للمصطلح، وأضفى عليه مفهومه الخاص.

فأصبحت القصدية في فلسفة "سيرل" ، ذلك "المصطلح العام لجميع الأشكال المختلفة التي يمكن أن يتوجه بها، يتعلق، نحو الأشياء أو الحالات الفعلية في العالم"([1]). أو بعبارة أخرى هي :"صفة للحالات العقلية والحوادث التي يتم بها التوجه إلى موضوعات العالم الخارجي وأحواله أو الإشارة إليها"([2]).

ويتضح من خلال هذين التعريفين الحاملين لمفهوم واحد، أن القصدية:

-أولا، ذات خاصية عقلية في التمثيل. وهذا ما يبرر إدراجها ضمن فلسفة العقل.

-ثانيا، ذات خاصية التوجيه، أي توجيه الحالات العقلية من الداخل إلى العالم، أي إلى الخارج.

-ثالثا، خاصية التعلق، فهي تتعلق بموضوعات وحالات فعلية خارج ذاتها.

وعليه، يُفهم أن القصدية من حيث طبيعة حالاتها، تأتي:

-**إما بوصفها توجُّها**، فحين يكون للمرء قصد معين، يجب أن يكون قصدا لفعل شيء ما. وهكذا يكون الوضع في جميع الحالات؛ الاعتقاد والخوف والرغبة...الخ([3]).

-**وإما بوصفها تمثيلا**، إذ تقوم الحالات القصدية بتمثيل الموضوعات وحالة الأشياء بالمعنى نفسه، الذي تمثل به "أفعال الكلام" الموضوعات وأحوال الأشياء، مع ملاحظة أن هذه الأفعال تكون مشتقة من القصدية وتختلف طرق تمثيلها للموضوعات عن حالات طرق الحالات القصدية([4]). ولا تنوب الكلمات عن الأشياء إلا إذا أُستعملت قصديا لكي تمثل تلك الأشياء.

وبهذه المفاهيم، يكون "سيرل" قد طور بفلسفته الجديدة، مصطلح القصدية، الذي كانت الظاهرتية قد عرفته من قبل في قصدها نحو الخارج. وتجاوز بذلك التحليل الظاهراتي سواء

---

[1]- جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي...128.

[2]- جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل 21.

[3]- انظر جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل 21 .

[4]-انظر جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل... 25 .

في شكله المفارق المتعالي، أو في شكله الوجودي، جامعا بين التركيب المنطقي والسببي، وموسعا ليشمل المعنى، والفهم، والتفكير، والتعبير عنه في اللغة.

والقصدية مصطلح لا يتعلق بالنوايا، إنما يتعلق بخاصية يتوجه فيها العقل إلى العالم خارج ذواتنا([1]): موجوداته وموضوعاته وأوضاعه وحالاته، **توجها** محملا بما لدينا من أفكار واعتقادات ومخاوف ورغبات عن هذا العالم، ومواقفنا منه وتعبيرنا عنه، والأشكال التي **نتصوره** عليها و**نمثل** له بها.

3- القصدية بين العقل واللغة:

إن من السمات البارزة للعقل، أنه يربطنا عن طريق القصدية بالعالم الخارجي. وهذه هي ماهية القصدية، فهي الطريقة الخاصة التي يمتلكها العقل لربطنا بالعالم. وعلى غرار ذلك، تبرز حقيقة أن هناك طرقا مختلفة ترتبط بها المحتويات الخبرية (التي تعبر عنها اللغة) بالعالم، عن طريق أنماط من الحالات القصدية، وتربط الأنماط المختلفة من الحالات القصدية المحتوى الخبري بالعالم الواقعي([2]). وإذا كان ذلك كذلك، فهل معناه أن العقل يربطنا بالعالم الخارجي عن طريق القصدية بفضل اللغة؟ يجيب سيرل عن هذا السؤال في عبارة وجيزة مبينا أن المشكلة تكمن في أننا "لا نستطيع أن نفسر قصدية العقل بالاحتكام إلى قصدية اللغة، لأن اللغة تعتمد أصلا على قصدية العقل"([3])، ولذلك "لا يمكن تفسير القصدية إلا باستخدام مفاهيم قصدية"([4])، أو باستخدام لغة قصدية.

وينبه في موضع آخر، على الخلط وسوء الفهم الذي يقع فيه بعض الباحثين، قائلا: "لا أعني لشرح القصدية باستخدام اللغة القول، إن القصدية لغوية بالضرورة أو ترتبط باللغة. وإنما أجد المسألة على خلاف ذلك... حين أحاول تفسير القصدية عن طريق اللغة أعني استخدام

[1]- انظر جون سيرل: بناء الواقع الاجتماعي، من الطبيعة إلى الثقافة. ترجمة وتقديم حسنة عبد السميع...ص 10 مقدمة المترجمة.

[2]- انظر جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي...151.

[3]- جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي...136.

[4]- جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل... 50.

معرفتنا الأولية باللغة كوسيلة للشرح والتفسير...وأن العلاقة المنطقية بين اللغة والقصدية على العكس تماما. إذ تُستمد اللغة من القصدية وتشتق منها وليس العكس"([1]).

واللغة كغيرها من الحالات القصدية الأخرى، غير اللغوية، مثل بكاء الأطفال في حالة الجوع، أو سلوكيات بعض الحيوانات، الدالة على حالات معينة، تستمد قصديتها من العقل، أو أن العقل هو الذي يفرض قصدية عليها. وهذا يعني أن قصدية العقل أصلية وقصدية اللغة مستمدة أو مشتقة([2]).

وعلى هذا، فالقصدية تتحقق في الحالات اللغوية وفي الحالات غير اللغوية، غير أنها تتحقق في الحالات اللغوية بأكثر دقة ووضوح، لأن القصد العقلي "يسهم في منح أبنية اللغة فعاليتها ونجاحها Satisfaction...وعلى هذا النحو يفرض سيرل القصد العقلي على قصد اللغة، متصورا المعنى من منظور نفسي أكثر منه معنى يتعلق بدلالة التراكيب الحرفية"([3]).

4- قصدية الدلالة وقصدية اللفظ:

إن اهتمام "سيرل" بقصدية العقل، لم يبعده عن الاهتمام بدراسة اللغة، بل إنه اعتمدها آلية -لا غنى له عنها- لشرح وتفسير القصدية عموما.

وقد عمد إلى تفسير القصدية العقلية، من خلال التفريق بين قصديتين لغويتين هما: قصدية الدلالة وقصدية اللفظ، مبينا أنه لا مندوحة عن فهم الأدبيات المعاصرة عن القصدية، إن لم ندرك الفرق بين قصدية الدلالة (intentionality-with- a-t) وقصدية اللفظ (intentionality-with-an-s):

فالقصدية الدلالية، هي تلك الصفة في العقل التي تمكنه من التوجه نحو، أو حول الأشياء، أو الحالات الواقعية في العالم، باستقلال عنها.

وأما القصدية اللفظية، فهي صفة تخص جملا وقضايا موجودات لغوية أخرى معينة([4]).

---

[1]- جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل... 26

[2]- انظر جون سيرل: العقل، مدخل موجز... 132.

[3]- جون سيرل: بناء الواقع الاجتماعي، من الطبيعة إلى الثقافة. ترجمة وتقديم حسنة عبد السميع...ص 11 مقدمة المترجمة.

[4]- انظر جون سيرل: العقل، مدخل موجز... 143.

وهذا يعني أن القصدية الدلالية تخص المعنى غير الحرفي للغة، أو (المعنى الذي يقصده المتكلم)، والقصدية اللفظية تخص المحتوى القضوي للعبارات في اللغة، أو (معنى الكلمة أو الجملة).

وتوضح "أوريكيوني" تلك المقابلة (أثناء حديثها عن الاستعارة عند سيرل) فيما يلي([1]):

(المعنى الذي يقصده المتكلم) في مقابل (معنى الكلمة أو الجملة).

(=المعنى المشتق) (=المعنى الحرفي)

يتبين، من وجهة سيرل، أن القيم الكلامية المنطوقة، تتلاءم مع البنيات التداولية التواصلية التي يسبق وجودها وجود القول، لذا يميز في الكلام بين المعنى المشتق والمعنى الحرفي، وذلك نتيجةً لانطلاقه في تفسير الظواهر اللغوية من العقل.

5- قصدية المعنى:

يستعمل الكثير من الباحثين "الفعل (يعني)to mean كمرادف للفعل (يقصد) to intend، كما في الجملة (أنا أعني أن أزورك غدا). واستنتج بعضهم من هذا الاستعمال، أن معنى الجملة يتم تحليله في حدود قصد المتكلم أو الكاتب"([2])، وهذا ما حدا أيضا بالباحثة "أوريكيوني"، إلى نفي وجود المعنى في حال لم يكن منسوبا إلى شيء ما، ذلك أن القول لا يكون له معنى في ذاته([3])، وإنما يتحدد بالقصد الذي يرمي إليه المتكلم. وكذلك هو رأي الفيلسوف "جون سيرل".

حيث اهتم "سيرل" بالمعنى الذي يقصده المتكلم، على حساب اللفظ الحامل للمحتوى القضوي، لأن معنى الجملة يتحدد بمعاني الكلمات والترتيب النحوي للكلمة في الجملة. غير أن ما يعنيه المتكلم بمنطوق الجملة يعتمد، ضمن حدود معينة، على مقاصده...وهكذا فبرغم من أن اللغة تمارس الإكراه على معنى المتكلم، إلا أن معنى المتكلم يبقى الصورة الأولية للمعنى اللغوي، ذلك أن المعنى اللغوي للجمل يؤدي وظيفة تمكين متكلمي اللغة من استعمال

---

[1]- انظر أوريكيوني: المضمر... 564.

[2]- صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد. دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، بيرو- لبنان، 1993، 279.

[3]- انظر أوريكيوني: المضمر... 556.

الجمل لكي يعنوا بها شيئا في المنطوقات. ومعنى منطوق المتكلم هو الفكرة الأولية عن المعنى لأغراضنا في تحليل وظائف اللغة([1]).

وإن غاية قصد المتكلم هي إفهام المتلقي، ويُشترط ليعبر المتكلم عن القصد الذي يبلغه أن يمتلك اللغة في مستوياتها اللفظية والدلالية، وذلك بمعرفته للعلاقة بين الدوال والمدلولات، وكذلك بمعرفته لقواعد تركيبها وسياقات استعمالها، ولا يقف دور القصد عند إيجاد العلاقة الدلالية في العلامة اللغوية بين الدال والمدلول، بل يمتد إلى استعمالها في الخطاب([2]).

ويرتبط المعنى اللغوي عند سيرل بقصدية مشتقة من الكلام المنطوق، وتعبر القصدية الأصيلة عن المعنى الموجود داخل فكر المتكلم، ويكمن المفتاح لفهم المعنى فيما يلي: "المعنى هو شكل قصدية مشتقة. والقصدية الأصيلة أو الداخلية في فكر المتكلم تتحول إلى كلمات وجمل وعلامات ورموز...الخ. إذا ما أُحسِن النطق بهذه الكلمات والجمل والعلامات والرموز، بحيث تكون ذات معنى، فإنها تنطوي على قصدية مشتقة من أفكار المتكلم. فهي لا تنطوي على مجرد معنى لغوي تقليدي فحسب، بل على معنى يقصده المتكلم أيضا. ويمكن للمتكلم أن يستعمل القصدية التقليدية للكلمات والجمل في اللغة لتأدية فعل كلامي. وحين يؤدي المتكلم فعلا كلاميا، فإنه يفرض قصديته على الرموز"([3]).

يلاحظ مما تقدم، أن سيرل يرُدّ المعنى كمفهوم قصدي، إلى إرادة المتكلم وليس إلى سلطة اللغة، فالمعاني يمكن أن تظهر على سطح اللغة، لكن مقاصدها تبقى في ذهن المتكلم. وعليه فالمتكلم هو الذي يفرض مقاصده على اللغة.

6- القصدية الفردية والقصدية الجماعية:

إن ما سلف من حديث عن القصدية، هو حديث عن نوع واحد منها، يُشار إليه بالتعبير (أقصد)، أو(أعتقد)، أو(أرجو) إلى غير ذلك، وهو القصدية الفردية أو "قصدية الأنا". وهناك نوع

---

[1]- انظر جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي...206 و207.

[2]- انظر عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب... 183.

[3]- جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي...208.

آخر من القصدية يُشار إليه بصيغة الجمع، (نقصد) أو (نعتقد) أو (نرجو)، وهو القصدية الجمعية أو "قصدية النحن".

والقصدية الفردية متضمنة-في الوقت نفسه- في القصدية الجمعية. يقول سيرل: "إذا كان لديّ (نقصد) فيجب أن يكون لديّ أيضا (أقصد)، لأنني إذا كنت أقوم بشيء قصديا كجزء من قيامنا بالشيء، فيجب أن أقصد القيام بدوري فيه. ولكي أقصد القيام بدوري، يجب أن أقصد القيام بشيء هو جزء من قيامنا بالشيء. هكذا مثلا، إذا كنا ندفع سيارة لكي نشغِّلها، فيجب أن يكون لدي القصد في أنني سأقوم بدوري"([1])، ضمن الجماعة التي أتعاون معها في دفع السيارة.

وهذا يدل على أن للبشر القدرة على القصد العقلي، والتوجه توجها جماعيا نحو فهم الأشياء، وتمثلها، والتعبير عنها، وهذا لا يعني أن جماعة الناس يتعاونون في التعايش فحسب، بل إنهم يتشاركون في حالات من القصد العقلي؛ من مثل المعتقدات والرغبات والمقاصد، ومن أوضح الأمثلة على ذلك، "أني أفعل شيئا في إطار كوننا نفعل ذلك الشيء، فلو أني حارس خط الهجوم في مباراة كرة قدم، فقد أغلق ثغرات الدفاع، لكنني أفعل ذلك بوصفي جزءا من تنفيذ لعبة هجوم. ولو أني عازف فيولينا (الكمان) في أوركسترا، فإني أعزف الجزء الخاص بي في إطار العزف السيمفوني للأوركسترا..."([2]).

وما يصح على الأوركسترا يصح على فريق كرة القدم، وعلى الحشد في سباق سياسي، وعلى شخصين يرقصان معا رقصة واحدة، وعلى طاقم بناء يُشيِّد بيتا. ويستخدم سيرل تعبير الواقعة الاجتماعية "للإشارة إلى أي واقعة تستدعي وجود قصد العقل الجماعي، لذلك يُعد خروج اثنين للتريض معا واقعة اجتماعية، ذلك أن الوقائع المرتبطة بالمؤسسة تعد نوعا خاصا من أنواع الوقائع الاجتماعية، وهي ترتبط بوجود مؤسسات إنسانية"([3]).

وإذا عُرِّفت الواقعة الاجتماعية، على أنها أية فعالية تضم فاعلَين، أو أكثر، لديهما قصدية جمعية، فإن الحيوانات التي تصطاد معا، مثلا، أو الطيور التي تتعاون في بناء عشها، وما يسمى

---

[1]- جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع... 174.

[2]- جون سيرل: بناء الواقع الاجتماعي... 55.

[3]- جون سيرل: بناء الواقع الاجتماعي... 58.

افتراضا بالحشرات الاجتماعية، كالنمل والنحل، تكشف- أيضا- عن قصدية جمعية، وبالتالي عن توفرها على وقائع اجتماعية. غير أن للكائنات البشرية قدرة مميزة، تمكنها من تخطي الوقائع الاجتماعية المجردة إلى الوقائع المؤسساتية، لأن البشر ينخرطون في أكثر من مجرد تعاون فيزيائي بحت، فهم يتواصلون بالكلام وبغيره، ويمتلكون الأشياء، ويتزوجون، ويشكلون الحكومات، وغير ذلك من الوقائع المؤسساتية([1]).

إذن القصدية نوعان:

- قصدية فردية، خاصة بالفرد وما ينتج عنه من حالات قصدية لغوية وغير لغوية، مثل الرغبة والخوف والاعتقاد وأفعال الكلام...الخ.
- وقصدية جماعية، خاصة بالجماعة (اثنين أو أكثر) تنتج إثر تعاونهم، أو تشاركهم في واقعة اجتماعية.

وكلتا القصديتين تتشكلان في العقل الذي يربطهما بالواقع، أو بالعالم الخارجي.

[1]- جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع... 178. 179.

- **نتائج:**

- أول من استعمل مصطلح "فلسفة اللغة" في المؤلفات الفلسفية الحديثة هو الفيلسوف البولندي هوين فرونسكي، في مطلع القرن التاسع عشر وتحديدا ما بين 1803 و1806. وليس الفيلسوف الإيطالي بندتوكروتشي في مطلع القرن العشرين كما يعتقد بعض الباحثين.

- تتجاذب مفهوم مصطلح فلسفة اللغة نزعتان؛ نزعة تأصيلية يعتقد أصحابها أن فلسفة اللغة قديمة قدم الفلسفة. وترجع مضامينها إلى مختلف الآراء الفلسفية التي قيلت حول طبيعة الظاهرة اللغوية. ونزعة حداثية ينظر أصحابها إلى فلسفة اللغة على أنها مبحث فلسفي حديث ظهر في بداية القرن العشرين، يدرس اللغة من وجهة نظر فلسفية، ويتكون من مختلف التطورات التي عرفها – حصرا–الفكر الفلسفي المعاصر.

- اتضح في متن المطبوعة تقاطع الفلاسفة واللسانيين في الاهتمام بدراسة الموضوعات اللغوية نفسها، غير أن كلا منهما يدرسها من وجهة نظر تخصصه.

- تبين أن لبعض الفلاسفة اهتماما كبيرا بدراسة الظاهرة اللغوية فلسفيا، كما تبين أيضا إلمام بعض اللسانيين بالكثير من المباحث الفلسفية.

- على الرغم من أن فلسفة اللغة مبحث فلسفي حديث، إلا أنها تتناول بالبحث والدراسة مجموعة من القضايا اللغوية التي يعود تاريخها إلى أقدم العصور الفلسفية.

- فلسفة اللغة مبحث فلسفي لغوي، يجمع بين اهتمامات الفيلسوف واهتمامات اللساني. يسعى إلى إيجاد حلول للمعضلات اللغوية التي استشكلت على الفلاسفة واللغويين قديما وحديثا.

- اللغة كموضوع للدراسة هي القاسم المشترك بين اللسانيات وفلسفة اللغة، غير أن طريقة معالجتها تختلف باختلاف نظرة الدارس لها، فاللساني ينظر إليها من حيث هي في ذاتها ومن أجل ذاتها، والفيلسوف ينظر إليها من حيث هي حديث فلسفي حول اللغة.

- يرجع الفضل لأفلاطون وأرسطو في صياغة لغة واصفة أو شارحة metalanguage بجهازها المفاهيمي والمصطلحي، لوصف اللغة اليونانية وتحليلها.
- تعد محاورة كراتيليوس لأفلاطون أقدم عمل متخصص في فلسفة اللغة، يعتني بإشكالية أصل اللغة والأسماء.
- إن غرض أفلاطون الرئيس من كتابه كراتيليوس ليس التركيز على عرض المسائل اللغوية في حد ذاتها، وإنما التأكيد على نظريته في المعرفة. لذا فإن اهتمامه باللغة ورد في السياق العام لعرض فلسفته.
- كما أن اهتمام أرسطو بعلوم اللغة لم يكن اهتماما مستقلا عن موضوعه الرئيس وهو المنطق، بل بحث فيها –كما يؤكد محمود زيدان–وهو يقدم نظرياته المنطقية، ولهذا جاءت تحليلاته اللغوية شذرات متفرقات في غمرة عمله المنطقي[1].

[1]- محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، 1985. بيروت-لبنان، دار النهضة العربية، ص 155.

- شق أرسطو سبلا جديدة لتأسيس تخصصات معرفية لم تكن معهودة قبله، كالمنطق الصوري، والخطابة أو البلاغة...وما انبثق عنها أو استلهم منها، من معارف جديدة كنظرية الشعر والبلاغة الجديدة وغيرهما.
- لا تقتصر اهتمامات أرسطو باللغة على كتب العبارة وفن الشعر والخطابة فقط، بل حتى كتاب المقولات فيه اهتمام باللغة. يقول الفيلسوف طه عبد الرحمن "قد تبين للباحثين اللسانيين اليوم أن المقولات الأرسطية إنما هي تجريد فلسفي لمقولات الصرف والنحو اليونانيين"[1].
- اقتصار أرسطو على دراسة الخطاب الخبري الذي يقبل الحكم المنطقي التصديق أو التكذيب، في كتاب العبارة باعتباره ينتمي إلى مجموعة الأرغانون المنطقية.
- اهتمام أرسطو بدراسة الخطاب الإنشائي ضمن كتابيه الخطابة وفن الشعر.
- إن الحديث عن القصدية في فلسفة العقل، ومحاولة ربطها بفلسفة اللغة، ومن ثمة بالتداولية، ليس بالشيء الهيِّن؛ لأنه موضوع معقد، ومستغلق حتى على أهل الاختصاص.
- كما تجدر الإشارة، إلى أن اقتصار هذه الدراسة على عرض ما جاء عند سيرل، لا ينفي جهود باحثين آخرين اهتموا بدراسة النظرية القصدية، فلاسفة ولغويين وأصوليين، قديما وحديثا، غربيين وعرب. كما لا ينفي وجود وجهات نظر أخرى (فلسفية ولغوية وأصولية) مخالفة لآراء سيرل.

- وعليه، نقول، إن موضوع القصدية معقد ومتشعب، يصدر عن تفسيرات عقلية ولغوية، اهتمت بدراسته تخصصات معرفية متنوعة، لها علاقة بتحليل الظواهر العقلية واللغوية، وما ينتج عنها من أفعال ووقائع اجتماعية.
- ويبقى الفيلسوف جون سيرل من أبرز الفلاسفة في هذا العصر، وفي العصور التي سبقته، انشغالا بالقصدية، تفكيرا، وتأليفا، واحتجاجا لآرائه المخالفة للتقاليد الفلسفية السابقة.

- فهرس المراجع العربية والمترجمة:

1- ابن رشد: تلخيص كتاب أرسطو طاليس في العبارة، تحقيق محمد سالم، 1978. مصر، دار الكتب.

2- ابن رشد: تلخيص كتاب الشعر، تحقيق تشارلس بترورث وأحمد هريدي، 1986. مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

3- أحمد كروم: مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي. كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ط1، عمان-الأردن. 2015.

4- أبويعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية ط2، بيروت-لبنان، 1987.

5-آن روبول، وجاك موشلار: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل. ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني. المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت-لبنان. ط1، 2003.

6-أنطوان خوري: مدخل إلى الفلسفة الظاهرتية، دار التنوير. بيروت-لبنان. 1984-

7-أوريكيوني: المضمر، ترجمة ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-لبنان 2008.

8- أرسطو طاليس: العبارة، ضمن (منطق أرسطو)، ترجمة إسحاق بن حنين، تحقيق عبد الرحمن بدوي، 1980، ط1. بيروت-لبنان، دار القلم.

9- أرسطو: الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، 1980. العراق، دار الرشيد للنشر.

10-أرسطو: فن الشعر، ترجمة وتعليق إبراهيم حمادة، (د ت)، مصر، مكتبة الأنجلومصرية.

11-- أفلاطون: محاورة كراتيليوس، 1995، ط1. عمان-الأردن، وزارة الثقافة.

12-أمبرتو إيكو: السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة أحمد الصمعي، 2005، ط1. بيروت-لبنان، المنظمة العربية للترجمة.

13-إميل برهييه: تاريخ الفلسفة، ج6. ترجمة جورج طرابيشي، (بيروت-لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر. 1983)

15-بدوي عبد الرحمن: ربيع الفكر اليوناني، (القاهرة-مصر، مكتبة النهضة المصرية. (د ت))

16-بغورة الزواوي: الفلسفة واللغة، 2005، ط1. بيروت-لبنان، دار الطليعة.

17-الجابري: بنية العقل العربي. مركز دراسات الوحدة العربية، ط9، بيروت-لبنان. 2009.

18-جاب الله السيد: فلسفة اللغة والمنطق، 2014، ط1. عمان-الأردن، الوراق للنشر والتوزيع.

19-جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي. ترجمة سعيد الغانمي.

20-جون سيرل: العقل، مدخل موجز. ترجمة ميشيل حنا ميتاس، عالم المعرفة، العدد 343. سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر 2007.

21-جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل. ترجمة أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 2009.

22-جون سيرل: بناء الواقع الاجتماعي، من الطبيعة إلى الثقافة. ترجمة وتقديم حسنة عبد السميع ومراجعة إسحاق عبيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة-مصر. 2012.

23-جون سيرل: الأعمال اللغوية، بحث في فلسفة اللغة، ترجمة أميرة غنيم. تونس. دار سيانترا.2015.

24-جون لانكشو أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة؛ كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، ط2، المغرب، 2008.

25-جلال الحمادي: البحث الدلالي عند الفلاسفة المسلمين في ضوء اللسانيات، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى وحدة اللغة العربية بمركز اللغات بجامعة تعز-اليمن، 2010.

26-جيرار جهامي: الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية. دار المشرق، بيروت-لبنان. 1994.

27-الحاج صالح عبد الرحمن: بحوث ودراسات في علوم اللسان، 2007، ط1.الجزائر، موفم للنشر.

28-الحاج صالح عبد الرحمن: منطق العرب في علوم اللسان، 2010، الجزائر، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية. موفم للنشر.

29-الحاج صالح عبد الرحمن: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ج1، 2007. الجزائر.

30-حمداوي جميل: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، 2014، المغرب، إفريقيا الشرق.

31-دو سوسير: علم اللغة العام. ترجمة يوئيل عزيز، (العراق، دار آفاق عربية. 1985).

32-راسل: أثر العلم في المجتمع، ترجمة صباح الدملوحي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-2008.

33-روبنز-ر.هـ: موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة أحمد عوض، 1997. الكويت، سلسلة عالم المعرفة.

34-رومان جاكبسون: الاتجاهات الأساسية في علم اللغة. ترجمة علي صالح وحسن ناظم، (الدار البيضاء-المغرب. المركز الثقافي العربي. 2002).

35-الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة. (بيروت-لبنان، دار الطليعة، 2005).

36-زينب عفيفي: فلسفة اللغة عند الفارابي، دار قباء، القاهرة-مصر. 1997.

37-سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، 1988. ج2.

38-سيلفان أورو: فلسفة اللغة، ترجمة عبد المحيد جحفة، (بيروت-لبنان. دار الكتاب الجديد المتحدة. 2010).

39-سعد الدين التفتازاني: المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط3، 2013.

40-شكري المبخوت: دائرة الأعمال اللغوية، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2010.

41-صلاح اسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير، بيروت-لبنان. 1993.

42 -صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد. دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، بيرو-لبنان، 1993.

43-صلاح عبد الحق: فلسفة اللغة، (مصر، الدار المصرية اللبنانية، 2017).

44-طالب الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، (الكويت، مطبوعات جامعة الكويت. 1994).

45-طالب سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب. الكويت، 1994.

46-طه عبد الرحمن " (اللسان والميزان، ط2. 2006، المغرب، المركز الثقافي العربي،)

47-طه عبد الرحمن: فقه الفلسفة-الفلسفة والترجمة. (المغرب، المركز الثقافي العربي. 1995).

48-الفارابي: إحصاء العلوم: تقديم وشرح علي أبوملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، 1996.

49-الفارابي: كتاب الحروف، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق-بيروت. لبنان.

50-فروخ عمر: الفلسفة اليونانية في طريقها إلى العرب، 1947، ط1. بيروت-لبنان، مكتبة ميمنة.

51-فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية. مصر. 1985.

52-فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان. ترجمة صابر حباشة. دار الحوار، سوريا. 2007.

53-لودفيغ فيتجنشتاين: رسالة منطقية فلسفية، ترجمة عزمي إسلام. (مصر. مكتبة الأنجلو المصرية. 1968).

54-محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة. بيروت-لبنان. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. 1985.

55-محمد الجابري: تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان. ط10، 2009.

56-محمد رشوان وعصام جميل: فلسفة اللغة. دار المسيرة. عمان-الأردن، 2012.

57-محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجديدة، مصر، 2002.

58-مسعود صحراوي: التداولية عند العرب، (الجزائر، دار التنوير للنشر والتوزيع. 2008)

59-مصطفى غلفان: اللغة واللسان والعلامة عند سوسير، (بيروت-لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة. 2017).

60-ماري آن بافو، وجورج إلياس رفاتي: النظريات اللسانية الكبرى، من النحو المقارن إلى الذرائعية، ترجمة محمد الراضي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ط1، 2012

61-نعوم تشومسكي: أفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل. (سوريا، دار الحوار، 2008).

62-نبيهة قارة: مدخل إلى فلسفة اللغة. (تونس، الوسيطي للنشر. 2009) .

63-هشام إبراهيم عبد الله الخليفة: نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، لبنان، ط1، 2007.

64-عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد. طرابلس/ ليبيا، ط،2004.

65-عزمي إسلام: لدفيج فتجنشتاين. دار المعارف-مصر، (د-ت).

66-عزمي طه: فلسفة اللغة عند أفلاطون ومعه نص محاورة كراتيليوس (دراسة وترجمة)، 2015، إربد-الأردن. عالم الكتب الحديث.

67-عزمي إسلام: مفهوم المعنى، دراسة تحليلية. (الكويت، حولية كلية الآداب تصدر عن جامعة الكويت، الحولية السادسة، الرسالة الحادية والثلاثون. 1985).

68-عزمي طه: فلسفة اللغة عند أفلاطون، (الأردن. عالم الكتب الحديث. 2015).

69-عمر أوكان: اللغة والخطاب. (مصر. دار رؤية للنشر والتوزيع، 2011).

70-عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر. 2012.

2-المراجع الأجنبية:

71- ALBERT DAUZAT : LA PHILOSOPHIE DU LANGAGE, ERNEST FLAMMARION, EDTEUR. PARIS- France. 1917.

72- -BENEDETTO CROCE: ESTITICA COME SCIENZA DELL ESPRESSIONE E LINGUISTICA GENERALE. TEORIA E STORIA. GIUS. LATERZA & FIGLI. 1908,

73- HÖENÉ Wronski ; SEPT MANUSCRITS INÉDITS. Paris. 1879.

- **فهرس الموضوعات:**

- **مقدمة:** 1---3
- **مفردات المقياس**.....4
- **المحاضرة الأولى**: فلسفة اللغة، المفهوم والنشأة.....5-9
- **المحاضرة الثانية**: مباحث وقضايا فلسفة اللغة.....10-19
- **المحاضرة الثالثة**: اللغة عند الفلاسفة اليونان (أفلاطون).....20-25
- **المحاضرة الرابعة**: اللغة عند الفلاسفة اليونان (أرسطوطاليس)..... 26-35
- **المحاضرة الخامسة**: فلسفة اللغة عند العرب، الفارابي(01) 36-42
- **المحاضرة السادسة**: فلسفة اللغة عند العرب (02) 43-52
- **المحاضرة السابعة**: فلسفة اللغة عند علماء الغرب..... 53-57
- **المحاضرة الثامنة**: فلسفة اللغة عند المعاصرين(01) 58-63
- **المحاضرة التاسعة**: فلسفة اللغة عند المعاصرين (02) 64-67
- **المحاضرة العاشرة**: فلاسفة كمبردج في التحليل اللغوي..... 68-71
- **المحاضرة الحادية عشرة**: فلاسفة أكسفورد في التحليل اللغوي..... 72-78
- **المحاضرة الثانية عشرة**: فلاسفة أكسفورد في التحليل اللغوي.... 79-88
- **المحاضرة الثالثة عشرة**: القصدية (جون سيرل نموذجا) 89-97
- **نتائج**: 98-101
- فهرس المراجع..... 102-107
- فهرس الموضوعات.....108